بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الفضل العباس عليه السلام

بين الولاية والشهادة

قراءة في نص زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام

تأليف

الشيخ حبيب إبراهيم الهديبي

مراجعة

مركز الدراسات التخصصية في أبي الفضل العباس عليه السلام

في مكتبة العتبة العباسية المقدسة

الهديبي، حبيب ابراهيم عبد العزيز، |d1949-
ابو الفضل العباس عليه السلام بين الولاية والشهادة : قراءة في نص زيارة ابي الفضل العباس عليه السلام = Abu Al-Fadhl Al-Abbas between fidelity and Martyrdom : Reading in the ziyarah text of Abi Al-Fadhl Al-Abbas peace be upon him / حبيب ابراهيم الهديبي.- الطبعة الاولى.- كربلاء [العراق] : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز الدراسات التخصصية، 1439 هـ. = 2017.
147، 13 صفحة ؛ 24 سم
يضم كشافات.
المصادر: صفحة 141-144.
1. العباس بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، |d26-61 هجري. 2. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة) --تراجم. الف. العنوان Abu Al-Fadhl Al-Abbas between fidelity and Martyrdom : Reading in the ziyarah text of Abi Al-Fadhl Al-Abbas peace be upon him.
BP80.A14 H8 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب : أبو الفضل العباس(ع) بين الولاية والشهادة .

تأليف : الشيخ حبيب إبراهيم الهديبي .

الناشر : مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة .

الإخراج الفني : حيدر نجم الحجيمي .

المدقق اللغوي : عمار كريم السلامي .

المطبعة : دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع .

الطبعة : الأولى .

عدد النسخ : ١٠٠٠

التأريخ : ٧ محرم الحرام ١٤٣٩هـ / ٢٩ أيلول ٢٠١٧ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٠٧٢) لسنة ٢٠١٧ م

الإهداء

أهدي ثواب مجهودي القليل هذا إلى روح المرأة العظيمة الجليلة أم البنين أم ابي الفضل العباس رضوان الله عليها ثم إلى روح أبي وأمي رحمة الله عليهما سائلاً من الله القبول

المؤلف

كلمة إدارة المكتبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على صفيّه من خلقه محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعدُ... حين يكون السلام من الله مبتدأً للكلام فليس للمتلقّي سامعاً أو دارساً إلّا أن ينحني إجلالاً وهيبةً للمسلِّم عليه، وبهذه الكلمة المنتقاة بعناية ودقّة كاملة افتتح الإمام المعصوم عليه السلام زيارته لعمّه أبي الفضل العبّاس قمر بني هاشم بـ (**سلام الله وسلام ملائكته المقربين...**)، فأخرس ألسُن التشكيك والتوهين، وفتح أبواباً على مصاريعها؛ لتخوض في قراءة زيارته عليه السلام التي خصّ بها عمّه العبّاس ابن أمير المؤمنين سلام الله عليه بكلمات وعبارات وفقرات ذات دلالة تميّزت عن غيرها من زيارات الشهداء وأبناء الأئمة وتحليلها وتعليلها، فما بدأه أمير المؤمنين باختياره الثاقب لنطفته الطاهرة واستمرّ عليه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام في نشأة أخيهما وإحاطته بخاصة عنايتهما، ومن ثمّ إفراد الحسين عليه السلام يوم عاشوراء لأخيه العبّاس قبراً لوحده (بعد أن تركه في مكان استشهاده ولم ينقله دون غيره من شهداء الآل والأصحاب) أتمّه الإمام الصادق عليه السلام بأن جعل لأبي الفضل هذه الزيارة العظيمة المضامين التي حفظت له مآثره ومناقبه ورُتبه، فضلاً عن روايات الأئمة عليهم السلام فيه.

وحسناً أبلى فضيلة الشيخ المؤلِّف حبيب الهديبي (زِيدَ في توفيقه) في اختياره هذه الزيارة منطلَقاً لدراسته التحليليّة لشخصية أبي الفضل الموروثة والمكتسبة، وبصيرته (سلام الله عليه) ودورها في خطّ نهجه الذي سار عليه، نهج الولاء المطلق لأولي الأمر والبراءة من أعدائهم، متلمساً ذلك النهج في ثنايا الزيارة.

والمؤلِّف بهذا خاض في بحر جود صاحب الجود، ناهلاً من فيض فضله وعلمه وجاهه، وإن لم يكن قد استوفى جميع النصوص بالتحليل والبحث إلّا أنّ تجربته ودراسته كانت موفقة في استجلاء بعض معانيها ومفاهيمها واستيحائها، وفّقه الباري جلّ شأنه وسدّده وتقبّل منه وجعله في ميزان حسناته، وثبّت له ولنا موقف صدق مع الحسين وأخيه أبي الفضل عليهما السلام، إنّه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

السيّد نور الدّين الموسويّ

إدارة مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة

١ شوال ١٤٣٨هـ (يوم عيد الفطر المبارك)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على من بعثه الله رحمة للعالمين، نبينا نبي الرحمة محمد وعلى أهل بيته الطاهرين المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

وبعد:

فإن من واجب كل أمة حيّةٍ متحضّرة أن تمجّد عظماءها ورموزها وبُناة حضارتها، الذين أوقفوا حياتهم لبناء كيانها ورفع أمجادها، والدفاع عن كرامتها وشرفها.

وعلى رأس هذه الفئات التي رفعت مجد أمة القرآن والتوحيد وبنت حضارتها، فئة الشهداء والمجاهدين الذين بذلوا دماءهم وضحّوا بحياتهم في ساحات الصراع، بين التوحيد والوثنية في كل أشكالها، فمن حقّهم على هذه الأمة أن تمجّدهم وتقدّسهم وتشيد لهم مراقدهم، لتقف الأجيال على قبورهم وتجدّد ذكراهم، ولتبقى الأمة مرتبطة بعظمائها وبُناة أمجادها.

ومن أعظم الشهداء والمضحّين في التاريخ، شهداء الطف بقيادة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين تمثلت في دمائهم وتضحياتهم تلك النهضة المقدّسة نهضة أبي الأحرار، التي أحدثت تلك الهزّة العظيمة في حياة الأمة في مواجهة ذلك المدّ الجاهلي في ثوبه الجديد (المدّ الأموي) والذي كان يحمل

مشروعًا مناقضًا للمشروع الإلهي الذي نزل من السماء على خاتم الأنبياء، ولولا هذه النهضة المقدّسة لاستطاع الأمويّون أن يمرّروا مشروعهم من دون أي معارض، وعند ذلك لا تعرف البشرية إلا الإسلام الأموي الذي أرادوه، وهو الإسلام الذي يبرّر لهم جورهم وظلمهم، لولا أن النهضة الحسينية المقدّسة كشفت واقعهم وفضحت أهدافهم.

وأعظم الرموز والشهداء في هذه النهضة بعد الإمام الحسين عليه السلام، هو أبو الفضل العباس عليه السلام، هذا الشهيد العظيم الذي شهد المعصومون له بالسمو والمقام الرفيع.

ومن أهم الشهادات لهذا الرجل العظيم، نص الزيارة التي يزار بها عليه السلام، الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، والتي أحببْتُ أن أتشرّف بالوقوف أمامها وقفات قصيرة، تتمثّل في قراءةٍ في المضامين لهذا الزيارة الشريفة، محاولةً مني أن استوحي مفاهيمها وأستجلي بعض معانيها، مساهمةً متواضعة مني في خدمة هذا الشهيد العظيم.

وسوف يجد القارئ أن هذه القراءة لم يؤخذ فيها الاستقصاء والمتابعة الدقيقة لفقرات وفصول الزيارة ومضامينها، فما هي إلا وقفات قصيرة عند عدد من المحاور المستوحاة من مضامين الزيارة، ولهذا أيضًا لم يؤخذ فيها التسلسل بين فقرات أو فصول الزيارة، وأرجو من القرّاء الكرام -لاسيما أهل العلم- أن يغضّوا الطرف عما فيها من جهات ضعفٍ وقصور لأنها جاءت على قدر الخادم لا على قدر المخدوم.

اسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا القليل، وأن يكون ذلك في محل المقبولية لدى سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام: ﴿**يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ الله يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ**﴾، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على الذين اصطفى من عباده محمد وآله الطاهرين.

خادم الأطهار

حبيب إبراهيم الهديبي

نص زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام

قال الشيخ عباس القمي (رحمه الله): روى الشيخ الأجلّ جعفر بن قولويه القمّي بسند معتبر عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق – عليه السلام – قال: «**إذا أردت زيارة قبر العباس بن علي وهو على شط الفرات بحذاء الحائر فقف على باب السقيفة (الروضة) وقل**»:

(سَلامُ اللهِ وسَلَامُ مَلائكَتِهِ المُقَرَبين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصديقين والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين. أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل صلى الله عليه وآله والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم. فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت فنعم عقبى الدار. لعن الله من قتلك ولعن الله من جهل حقك واستخف بحرمتك ولعن الله من حال بينك وبين ماء الفرات).

جئتك يا بن أمير المؤمنين وافداً إليكم وقلبي مسلم لكم وتابع وأنا لكم تابع ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فمعكم معكم لا مع عدوكم إني بكم وبإيابكم من المؤمنين وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين. قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي و الألسن.

ثم دخل فانكب على القبر وقل:

(السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين صلى الله عليهم وسلم. السلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه وعلى روحك وبدنك. أشهَدُ وأُشهِدُ الله أنك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله المناصحون له في جهاد أعدائه المبالغون في نصرة أوليائه الذابون عن أحبائه فجزاك الله أفضل الجزاء وأكثر الجزاء وأوفر الجزاء وأوفى جزاء أحد ممن وفى ببيعته واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره أشهَدُ أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً وأفضلها غرفاً ورفع ذكرك في عليين وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. أشهَدُ أنك لم تهِن ولم تنكل وأنك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين فإنه أرحم الراحمين).[1]

قال الشيخ عباس القمّي واعلم أيضا أنه إلى هنا تنتهي زيارة العباس على الرواية السابقة ولكن السيد ابن طاووس والشيخ المفيد وغيرهما ذيلوها قائلين: ثم انحرف إلى عند الرأس وفصلِّ ركعتين ثم صلِّ بعدهما ما بدا لك وادعو كثيرا وقل عقيب الركعات: (**اللهم صلِّ على محمد وآل محمد** ...) إلى آخر الدعاء .

ثم عد إلى الضريح فقف عند الرجلين وقل:

(السلام عليك يا أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين السلام عليك يا بن سيد الوصيين السلام عليك يا بن أول القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأقومهم بدين الله

(١) مفاتيح الجنان: ٥١٠-٥١١ وكامل الزيارات الباب: ٨٥ / ٦٧١ ص ١٤٠-١٤١.

وأحوطهم على الإسلام. أشهَدُ لقد نصحتَ لله ولرسوله ولأخيك فنعم الأخ المواسي فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة استحلت منك المحارم وانتهكت حرمة الإسلام. فنعم الصابر المجاهد المحامي الناصر والأخ الدافع عن أخيه المجيب إلى طاعة ربه الراغب في ما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل وألحقك الله بدرجة آبائك في جنات النعيم. اللهم إني تعرضت لزيارة أوليائك رغبة في ثوابك ورجاء لمغفرتك وجزيل إحسانك فأسألك أن تصلي على محمد وآله الطاهرين وأن تجعل رزقي بهم داراً وعيشي بهم قاراً وزيارتي بهم مقبولة وحياتي بهم طيبة ودرجني إدراج المكرمين واجعلني ممن ينقلب من زيارة مشاهد أحبائك مفلحاً منجحاً قد استوجب غفران الذنوب وستر العيوب وكشف الكروب إنك أهل التقوى وأهل المغفرة).

فإذا أردت وداعه فأدنُ من القبر الشريف وودعه بما ورد في رواية ابي حمزة الثمالي و ذكره العلماء أيضا:

(أستودعك الله وأسترعيك وأقرأ عليك السلام آمنا بالله وبرسوله وبكتابه وبما جاء به من عند الله اللهم فاكتبنا مع الشاهدين. اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي قبر ابن أخي رسولك صلى الله عليه وآله وارزقني زيارته أبدا ما أبقيتني واحشرني معه ومع آبائه في الجنان وعرف بيني وبينه وبين رسولك وأوليائك. اللهم صل على محمد وآل محمد وتوفني على الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية لعلي بن ابي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام والبراءة من عدوهم فإني قد رضيت يا رب بذلك وصلى الله على محمد وآل محمد).[1]

(١) مفاتيح الجنان: ٥١٠.

الفصل الأول

أبو الفضل العباس بين الوراثة والتربية

من المسائل المسلم بها عند الخبراء بل في عموم الفكر الإنساني أن هناك عاملين أساسيين يؤثران تأثيرًا مباشرًا في وجود الإنسان ونشأته وبناء شخصيته فكريًّا وعقديًّا وأخلاقيًّا وهما :

عامل الوراثة وعامل التربية:

العامل الأول: عامل الوراثة، ويعني انتقال الصفات الوراثية الجسديّة والنفسية والاستعدادات التي يحملها جيل الآباء إلى الأبناء والأحفاد.

وديننا الحنيف لم يُغفل هذه المسألة، بل نبّه وأكّد عليها، ودعا الرجل المسلم فيما إذا أراد الزواج إلى اختيار المرأة المتولّدة من أبوين كريمين، ومن قبيلة عريقة معروفة بمحاسن الصفات، من شجاعة وكرم وشرف ،وما إلى ذلك من الصفات الإيجابية الكريمة .

وكذلك من ناحية المرأة، فينبغي لها أن تنظر فيمن تريد الاقتران به وتشركه في حياتها وتشاركه حياته، فتنظر في أخلاقه وتربيته ونشأته ومنطلقاته.

ويتّضح ذلك من الروايات الواردة في المقام عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والمعصومين من أهل بيته عليهم السلام :

١. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال النبي صلى الله عليه وآله اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين**».[1]

والتعبير عن الخال بأنه أحد الضجيعين كناية عن تأثير عامل الوراثة في الولد من جانب الأم والخؤولةَ.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤/ ٢٩ .

٢. وعن الصادق عليه السلام أيضًا قال: «**قام النبي صلى الله عليه وآله خطيبًا فقال: أيها الناس إياكم وخضراء الدِمن. قيل: يا رسول الله وما خضراء الدِمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء**».[1]

فالرسول صلى الله عليه وآله يحذّر من المرأة الجميلة في ظاهرها، إلا أن منبتها منبتٌ سيّء. يعني أن تولّدها ومنشأها غير نظيف.

وشبهها الرسول بخضراء الدِمن، وهو النبات الأخضر الجميل الذي يكون في وسط الدُمنة، وهي فضلات الحيوانات من روث وغيره.

ولم تكن البشرية تجهل قانون الوراثة تمامًا فيما مضى، بل كانوا يجهلون خصوصياتها، إن علماء الماضي كانوا يعلمون أن في بذرة الزهرة ونواة الشجرة ونطفة الإنسان والحيوان ذخائر تنقل صفات الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة.

ان ما اكتشفه علماء الوراثة اليوم وتوصلوا إليه بأبحاثهم الدقيقة في وجود موجودات صغيرة في داخل (الكروموسومات) تنقل الصفات الوراثية التي سمّوها (الجينات) ليس أمرًا جديدًا كل الجدّة.

فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الاطهار عليهم السلام الذين كانوا يكشفون الحقائق بنور الوحي والإلهام، لم يُغفلوا أمر هذا القانون الدقيق، بل أُشير إليه في بعض النصوص، وأُطلق على عامل الوراثة فيها اسم (العِرْق).

وبعبارة أوضح فإن المعنى الذي يستفيده علماء الوراثة اليوم من كلمة (الجينة) هو نفس المعنى الذي استفادته الأخبار من كلمة (العرق).

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤/ ٢٩.

١. عن النبي صلى الله عليه وآله: «**انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس**».[١]

٢. عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق**».[٢]

عامل الوراثة في حياة أبي الفضل العباس عليه السلام:

جريًا على هذه السنة الطبيعية والشرعية والعرفية انطلق أمير المؤمنين يبحث عن امرأةٍ اجتمعت لها مكارم الصفات الوراثيّة، ليقترن بها، لتلد له ولدًا تلتقي فيه الصفات الكريمة الموروثة من جهة الأبوين معًا، فكلّف أخاه عقيلًا بأن يبحث عن المرأة التي تحقق له رغبته في الإنجاب المبارك الميمون.

وقد كان عقيل من الخبراء والمتخصصين في علم الأنساب وتاريخ القبائل العربية، وما تحمل كل قبيلة من الصفات الإيجابية الكريمة أو السلبية الذميمة.

وقد ذكروا أنه كان توضع له طُنْفُسة (سجادة صغيرة) في المسجد النبوي ويجلس عليها ويأتيه كل من أراد الاستفسار والاستعلام عن شيءٍ يتعلق بموضوع الأنساب وتاريخ القبائل العربية.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال لأخيه عقيل رضي الله عنه وكان نسّابة عالمًا بأنساب العرب وأخبارهم: «**انظر لي امرأةً قد ولدتها الفحول من العرب فأتزوّجها فتلد لي غلامًا فارسًا**».

فقال له: تزوج أم البنين الكلابية، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها، فتزوّجها.[٣]

---

(١) نهج الفصاحة: ٢٦٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٤٦.

(٣) بطل العلقمي: ١/ ٩٧.

ويرى الشيخ المظفّر أن اسمها فاطمة بنت حِرام بالحاء المهملة والراء المهملة بعدها ألف وميم .ويأتي في كثير من النسخ (حِزام) بالزاي المعجمة وهو غلطٌ قطعي[1] في نظر المظفر. وقد حققت هذه المرأة الجليلة لأمير المؤمنين رغبته وطموحه، فأنجبت له أربعة من الأولاد.

وهم: العباس وعبد الله وعثمان وجعفر. وقد قتلوا جميعًا يوم الطف بين يدي سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

كان أبو الفضل العباس عليه السلام هو الأكبر والأفضل من بين إخوته من أمه وأبيه. وكانت ولادته سنة (٢٦) من الهجرة.

والمتداول المشهور أنه وُلد في الرابع من شهر شعبان من تلك السنة، استشهد وله من العمر أربع وثلاثون سنة.

العامل الثاني:

عامل التربية المؤثر في حياة الإنسان فمتى توفرت للإنسان التربية المثالية الصحيحة ونال الاهتمام الجاد والواعي من قبل من يشرف على تربيته ونشأته وبناء حياته فإن في ذلك الأثر الكبير في بناء مستقبله وتوجهاته وتكامل شخصيته، كما أن العكس يعطي نتائج عكسية.

ويرى العلماء أن التربية عامل قوي جدًا حيث تقدر أحيانا على أن توقف عمل الخواص الوراثية السيئة وتعود بالأفراد إلى طريق السعادة والكمال، وقد لا تعطي التربية نتيجة حتمية كاملة... وهذا يتبع الخصوصيات الفطرية للأفراد؛

(١) بطل العلقمي: ١/ ٩١.

حيث إنها متفاوتة.

ولكن الثابت أننا يجب أن ننظر إلى جميع الأفراد بعين القابلية ونحتمل أن تؤثر فيهم الأساليب التربوية الصالحة، فإن كانت هناك استعدادات كامنة للخير والكمال فإنها تظهر بفضل التربية الصالحة وتخرج من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعل كما يقول المنطقيون.

إن الإسلام الذي لم تَفُتْه صغيرة ولا كبيرة من الوسائل المؤدية بالبشر إلى السعادة والكمال اشار إلى هذه الناحية، فركّز تعاليمه الرصينة على أسس التربية الصالحة.

إن الإسلام يدعو جميع الناس من أي طبقة كانوا إلى الإيمان والطهارة وكذلك فهو يرى كل فردٍ مهما كانت خصائصه العائلية الوراثية واستعداداته الفطرية قابلًا لتلقّي الإيمان والخلق الفاضل، وهو لا يخيب أمل أي فرد بل يحاول البحث في أعماق فطرته للوصول إلى القيم الحية التي يمكن أن تنمّى وتستخرج من بين زوايا النفس وتُجلّى فتُبعث على الحياة من جديد.[1]

إن بعض الصفات الوراثية تتصف بالصفة الحتمية وهي من مصاديق القضاء والقدر الذي لا يقبل التغيير، والبعض منها يسلك كعامل مساعد فقط في سلوك الطفل، فهو ليس قضاءً حتميًا وقدراً لازمًا.

وإن الأساليب التربوية وعوامل المحيط إن اتفقت مع تلك الصفات الوراثية ظهرت بسرعة، وإن خالفتها فإن التربية تتغلب على الوراثة، فالمحيط يكون أقوى من الصفات الموروثة.

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية: ١/ ٦٦.

ولهذا فإن الإسلام يهتم بتربية الأفراد الذين يملكون تربة مساعدة للفساد والانحراف ويأمل وطيدًا باحتمال اصلاحهم وسلوكهم سبيل السعادة.[١]

وحِجرُ الأم هو المحيط الأول لتربية الطفل، فطوبى للأطفال الذين يولدون من آباءٍ وأمهات طاهرين اهتمَّوا بتربيتهم وتنشئتهم تنشئة دينية صالحة، والإسلام يحترم هذا النوع من الآباء والأمهات ويوصي الأطفال بأن يخضعوا لهم ويقوموا بواجب الطاعة والاحترام تجاههم جزاءً لجهودهم بأن يدعو لهم بدعاء الخير كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾.[٢]

عامل التربية في حياة أبي الفضل العباس عليه السلام:

لقد توفر عاملا الوراثة والتربية لأبي الفضل العباس عليه السلام بأعلى الدرجات وأكمل الجوانب، حيث كان المربي له والقائم على حياته وتنشئته أعظم مربٍ وأكبر معلم بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهو أبوه أمير المؤمنين، بالإضافة إلى توفر الحجر الطاهر والصدر النقي وهو حجر تلك المرأة الجليلة التي غذّته معاني الولاء والحب الخالص لأولياء الله وحججه صلوات الله عليهم.

كما كان لصحبته ومعايشته للإمامين والسبطين الكريمين ريحانتي رسول الله الحسن والحسين الأثر البالغ في تشكل شخصيته وبلورتها، فمن الطبيعي أن يتعلم منهما ويتأثر بهما، فقد كانا له من اقرب المربين والأساتذة والموجهين على طول هذه الصحبة والمعايشة إلى حين شهادته.

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية: ١/ ٦٦.

(٢) الإسراء: ٢٤.

في ظل هذا الجو العائلي وكنف هذه الأسرة الربانية نشأ أبو الفضل العباس عليه السلام وترعرع حتى أصبح يتمتع بشخصيةٍ متكاملة الفضائل قد أخذ بمعاني الفضل والفضيلة من كل الأطراف لأنه قد (تربى في أحضان الإمامة ونشأ في حجور العظمة وشب مرتضعاً در النبوة وشارباً لبا الوحي الإلهي).[1]

وهذا ما نستوحيه من زيارته عليه السلام في النص التالي :

«السلام عليك يا أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن سيد الوصيّين السلام عليك يا بن أول القوم إسلامًا وأقدمهم إيمانًا، وأقومهم بدين الله، وأحوطهم على الإسلام».

ونلاحظ هنا أن الزيارة تستعرض عددًا من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، كإمرته على المؤمنين، وكونه سيّدًا للوصيّين وأنه أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله إذ لم يسبقه سابق إلى الإسلام، وأنه هو الذي جعله الله قيّمًا على الرسالة بعد الرسول، وأنه أحرص الناس وأحوطهم في الحفاظ على دين الله ورعايته.

ويُستوحى من ذكر هذه الخصائص العظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام في سياق زيارة أبي الفضل العباس أمور ومنها أن أبا الفضل العباس إنما وصل إلى ما وصل إليه من المواقف الجهادية والمقامات الرفيعة وراثيًا من أبيه أمير المؤمنين، وكيف لا يكون كذلك وأبوه مَنْ اجتمعت له خصائص الفضيلة التي لم تجتمع لغيره من الناس بعد صاحب الرسالة، وثانيًا من جانب التربية والحياة الأسرية التي نشأ في رحابها:

(١) بطل العلقمي: ٢/ ٦ .

أبـا الفضـل يـا بـن الأكـرمين تحيـةً لقـد حـزت في دنيـا الفضـيلة رتبـةً
لهـا أذعنـت كـل الخلائـق عنـوةً أبـوك عـلي الطهـر مـن كـان رايـةً
بـه يهتـدي الأبـرار والحجـة الكـبرى
فـأكرِم بـأمٍ أنجبتـك وأرضـعت عفيفـة ذيـلٍ بالصـيانةِ لُفِّعـت
سـليلة قـومٍ في المكـارمِ سَرّعـت لقـد أنجبـت أقـمار تَـمٍّ فربّعـت
فـأكرِمْ بهـا مـن حُـرَّةٍ أنجبـت حُـرّا[1]

أهمية دور المرأة:

إن الله تبارك وتعالى قد خلق المرأة وعيَّن لها دوراً خاصاً في الحياة يتناسب مع طبيعتها وفطرتها وتركيبتها الجسدية والنفسية.

وهو دور الحمل والولادة والرضاع والحضانة والأمومة، وهذا هو الدور الأساسي والطبيعي للمرأة وكل دور آخر تنخرط فيه المرأة على حساب الدور الأساسي لها يعتبر تجاوزًا على الفطرة وتعديًا على الطبيعة التي خلقت عليها المرأة، وسوف تدفع المرأة والمجتمع ثمنًا باهضًا لخروجها على فطرتها. إلا أن يكون ذلك الدور يلتقي مع دورها الأساسي، ويناسب طبيعتها وخلقتها، كمجال الطب والتمريض والتعليم أو غيرها من أدوار تهتم في بناء المجتمع وتكامله.

ويعتبر الدور الأساسي للمرأة -في نظر الإسلام- من أقدس الأدوار وأعظمها خطراً وأكثرها أجرًا؛ لأنه يتعلق بوجود الإنسان وتربيته ونشأته، فالمرأةُ كأمٍ تمثل القاعدة لوجود الإنسان والمدرسة الأولى لتعليم وتربية الأجيال.

(١) للمؤلف.

والأم مدرســـــةٌ إذا أعـــــددتها أعـددت شـعباً طيـب الأعـراق[١]

لـذلك فـإن قيمـة الأم ومكانتهـا في تـدينها وإيمانهـا ونوعيـة ثقافتهـا ووعيهـا لدورها ورسالتها الحياتيـة وفهمهـا لمسـؤوليتها أمـام الله والأمـة والتـاريخ، فـإن لذلك كله الأثر العظيم في حياة أجيال الأمة والمجتمع.

كما أن جهلها وعدم ثقافتها ووعيها يحول بينها وبين القيـام بـدورها المقـدّس على أكمل وجه بالمساهمة في بناء الأفكار والنفوس والأخلاق، (وفاقد الشـيء لا يعطيه). وإذا ما تعرضت المرأة لنوع مـن الانحـراف الفكـري أو الأخلاقـي- لا سمح الله- فإن ذلك ينبئ بخطر عظيم على المجتمع والأمة؛ لأنها ستترك بصماتها الفكرية والأخلاقية على حياة الجيل الذي تقوم بتربيته وتوجيهه.

وعلى هذا الأساس فلا بد لنا من بناء المرأة أولاً في دينهـا وفكرهـا وأخلاقهـا وإرجاعها إلى فطرتها ورسالتها كي نؤمن على الأجيال الجديـدة حينما تكـون في أيدي أمهات مؤمنات واعيات للمسؤولية الرسالية الملقاة على عاتقهن.

وإن المرأة المسلمة والمؤمنة بعد سيطرة المد الحضاري المـادي عـلى بـلاد العـالم الإسلامي، وبعد سيطرة الاستعمار في القرن الأخير على بلاد المسلمين، وتأسيسه المؤسسات التعليمية التي تخدم أهدافه الاستعمارية؛ وقعـت المـرأة المسـلمة بـين محذورين أو بين خيارين أحلاهما مُر.

١. محذور التخلف والجهل وانعدام الوعي لدينها وشؤون حياتهـا. وذلـك عندما تمتنع عن الانخراط في هذه المؤسسات التعليمية الحديثة حيث لا يوجـد البديل عنها لسد الفراغ وينهض بالمرأة من هذا التخلف.

---

(١) ديوان أحمد شوقي.

٢. محذور الانخراط في هذه المؤسسات التعليمية الحديثة حيث لا يوجد في مقرراتها وأنظمتها شيء من الإسلام إلا أمور هامشية لا تسمن ولا تغني من جوع وإنها إن أخذت بهذا الخيار -كما حصل بالفعل- فإن ذلك يشكل خطرا على شخصيتها الإسلامية ونتيجة ذلك تغيير مسيرتها الحياتية وإبعادها عن إسلامها كما هو الحاصل في العالم الإسلامي فلم يبقَ للمرأة المسلمة من الإسلام في أغلب المجتمعات الإسلامية غير الهوية الرسمية إلا ما رحم ربك.

فلا بد من بذل الجهود بجدية وإخلاص من أجل إرجاع المرأة المسلمة إلى بيتها ورسالتها وأن تبنى شخصيتها وحياتها على أساس قيم الإسلام ومبادئه، وتثقف بثقافة الإسلام الأصيل.

تلك الثقافة التي تؤثر في سلوكها وأخلاقها، ومن ثم تنقلها إلى الجيل الجديد فعند ذلك تستطيع أن تمد المجتمع بالأفراد الصالحين الأقوياء الذين يشكلون اللبنات القوية في بناء حضارة الأمة من جديد كما ساهمت المرأة في ماضي الأمة متمثلة في نماذج رائعة وقمم شاهقة من الأمهات اللاتي يعتبرن مثلاً أعلى يقدم للمرأة المعاصرة للتأسّي والاقتداء بهن في أدوارهن ومواقفهن، وعلى رأس تلك القمم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد والصديقة الزهراء والحوراء زينب، والمرأة الجليلة أم البنين فاطمة الكلابية التي أنجبت أولئك الأولاد الأربعة الذين كان لهم الدور الكبير في صنع النهضة الحسينية المقدسة، وفي مقدمتهم قمر الهاشميين ابو الفضل العباس عليه السلام.

كلتا يديك ضراعة (أم البنين)

للسيد هاشم الشخص:[١]

أَمَّ البَنِـــينَ تَعُـــوقُنِي الكلـــماتُ ... مـــا لي بِوَصْـــفِكِ أحْـــرُفٌ ولُغَـــاتُ

حَـــيْرَانُ كالتّمتـــامِ جِئْتُـــكِ أَلْثَغًـــا ... عَثُـــرَتْ بِيَ العَـــبَرَاتُ لا التَّـــاءاتُ

حِينًـــا نَشِـــيدُ الحـــزنِ يُلهِـــبُ خـــافِقِي ... فَتَهِـــيجُ عِنْـــدي بالحَشَـــا الزَّفَـــرَاتُ

وأراكَ حِينًـــا كالجِبَـــالِ صَـــلابَةً ... ومِـــنَ الجَلامِـــدِ أنْجُـــمٌ وهُـــدَاةُ

يـــا أمَّ أرْبَعَـــةٍ رُزِئْـــتِ بِفَقْـــدِهِم ... وعـــلى الحُسَـــيْنِ تَعَالـــتِ الصَّـــرَخَاتُ

أَفَكُنْـــتِ وَالصَّـــبْرُ الجميـــلُ بِمَوْعِـــدٍ ... فَكِلاكُـــما تُـــرْوَى بِـــهِ الغايـــاتُ

للهِ شَمْسُـــكِ نُورُهـــا وجَلالُهـــا ... إنْ أشْرَقَـــتْ فصـــباحُها البَسَـــماتُ

يـــا مَـــنْ لَـــدَيها تَقْصـــرُ القامـــاتُ ... عنْـــدَ اللقـــاءِ وتَنْحَنِـــي الهَامَـــاتُ

---

(١) هو السيد هاشم بن السيد عبد الرضا بن السيد باقر الشخص، رجل أعمال ، وشاعر من مواليد عام ١٩٥٤م، نشأ في العراق- النجف الأشرف حيث أتم دراسته الثانوية وكانت دراسته الجامعية في مجال الهندسة المهنية بجامعة البترول والمعادن في الظهران، نظم الشعر وهو في ١٣ من عمره، شارك في مهرجانات ومسابقات أدبية وتفوق في بعضها ومستمعا في بعضها، ومعظم شعره في مناسبات أهل البيت عليهم السلام و بعض الأغراض الأخرى كالرثاء والغزل، وهو من أبرز رجالات الخير الذين يدعمون الجهات والمؤسسات الخيرية، كما له حضور للجهات الأخرى.

أمُّ البنـــينَ وكيـــفَ يَبْلُـــغُ شَـــأوُها ... هـــيَ والكَرَامَـــةُ للحَقِيقـــةِ ذاتُ

أَرثيـكَ؟ أمْ أَرْثِـي البُطُولَـةَ والفِـدَا ... يـــا أمَّ مَـــنْ فَـــازَتْ بـــه الجَنّـــاتُ

مـــا أرْوَعَ العَبّـــاسَ جَـــادَ بِنَحْـــرِهِ ... لّمـــا تَعَـــذّرَ دِجلـــةٌ وفُـــرَاتُ

أمَّ البنـــــــينِ وأيَّ أمٍ كُنْتِهَـــــــا ... تَلْقَـــى الـــدَّعِيَّ ورَفْضُـــها الـــلّاءاتُ

فَخْـــرًا بـــأمٍّ قَـــدّمَتْ أكْبَادَهَـــا ... لِلَظى الطّفُوفِ ومَاجَتْ العَرَصَاتُ

فَخْـــرًا بِعَبَـــاسِ الوَفَـــاء وبَذْلِـــهِ ... وَأُخُـــوّةٍ شَـــهِدَتْ بِـــهِ الغَمَـــراتُ

فَخْـــرًا بإخْوَتِـــهِ الكِـــرَامِ وإنَّهُـــم ... بِفَـــمِ الزَّمَـــانِ أعِـــزّةٌ وكُـــمَاةُ

هُـمْ كَالبُـدُورِ طَوَالِعًـا وكـما النُّسُـورِ ... أَشَاوِسًـــا وفـــوارسٌ وحُمَـــاةُ

مِـــنْ كُـــلّ غِطْرِيـــفٍ أَشَـــمٍّ وَاثِـــقٍ ... خَـاضَ الغِـمَارَ ولِلـوَغَى سَـطَواتُ

يَـذْوي زَمَـانُ الخَـانِعِينَ وَيَنْقَـضِي ... مَهْـمَا اسْـتَطَالَ وتَخْلُـدُ الوَقَفَـاتُ

يـــا أُمَّنَـــا مِنْـــكِ الـــدُعاءَ ضَرَاعَـــةً ... كِلْتَـــا يَـــدَيْكِ سَـــحَائِبٌ وهِبَـــاتُ

الوعْـــدُ مـــن أُمِّ البَنِـــينِ مُوَثَّـــقٌ ... و دعاؤُهـــا لِمَـــن ارتَضَـــتْ مَنْجَـــاةُ

الفصل الثاني

مشروعية الزيارة وفلسفتها

مشروعية الزيارة:

ذُكرت الزيارة للقبور في القرآن الكريم إلّا أنها ذكرت مقرونة باللوم والإنكار على من قام بهذه الزيارة، حيث ذكر ذلك في سورة التكاثر، قال تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾.[1]

فهل يفهم من هذا أن القرآن يرفض زيارة القبور وينهى عنها بصورة مطلقة؟ والجواب قطعاً لا، ليس في ذلك دلالة على ذلك؛ لأن القرآن الكريم إنما ذكر هذه الزيارة على وجه اللوم والإنكار نظراً إلى الدوافع والهدف لهذه الزيارة، وقد ذكر المفسرون لمعنى هذه الزيارة وجهين من التفسير.

الوجه الأول: هو أن معنى قوله تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ يعني أنكم ما زلتم تعيشون التكاثر بالأموال والأولاد والعدة والعدد حتى أدرككم الموت وتحولتم إلى المقابر وأنتم غافلون عما يراد بكم ومنكم، فمعنى الزيارة -هنا - على هذا الوجه هو الانتقال والمصير إلى المقابر بعد الموت.

الوجه الثاني: له علاقة بسبب نزول السورة المباركة (سورة التكاثر) وأنها نزلت في حَيين من الأنصار تكاثروا بالأموال وعدد الأفراد، فكل طرف يدّعي أنهم هم الأكثر أموالاً وأفراداً حتى جاؤوا إلى المقابر؛ ليحصي كل طرف عدد الأموات منهم ليضيفوهم لعدد الأحياء ليصبحوا هم الأكثر عدداً وعدة من الطرف الآخر.

---

(١) سورة التكاثر: ١-٨.

وقيل نزلت في حيّين من قريش، بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو، ولا مانع أن يحدث ذلك أكثر من مرة من أطراف متعددة في ذلك المجتمع الذي تسوده وتحركه روح العصبية القبلية، فأنكر عليهم القرآن هذا العمل لأنه صدر بدوافع مريضة بقصد التعالي والتفاخر بأمور مادية محضة فهم بعملهم هذا وبدوافعهم هذه المريضة قد قلبوا المعادلة وهي بدل أن يعتبروا ويتعظوا بالأموات منهم وتنكسر نفوسهم حينما يقفون على قبور من مضى منهم وإذا بهم يجعلون الموتى طريقا للتفاخر والتكاثر.

فنزلت السورة المباركة منكرة عليهم ذلك ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾.

أي أدى بكم التكاثر والتفاخر بالعدة والعدد إلى درجة أن جئتم إلى قبور موتاكم لتحصوها وتضيفوا عددها إلى عدد الأحياء منكم، وكل طرف يريد أن يكون هو الأكثر عددًا وعدة.

ولمولانا أمير المؤمنين عليه السلام كلام طويل حول ما أنكره القرآن الكريم من دوافع هذه الزيارة عندما قرأ سورة التكاثر ذات يوم فتحدث عن القبور وأصحاب القبور، وما صاروا إليه، فأشار إلى موقف هؤلاء المتكاثرين والمتفاخرين منكراً عليهم كما أنكر عليهم القرآن الكريم.

قال عليه السلام:

«يا له مرامًا ما أبعده ،وزَوْرًا ما أغفله وخطرًا ما أفضعه، لقد استخلوا منه أيَّ مدّكر، وتناوشوهم من مكان بعيد، أفبِمصارعِ آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون، يرتجعون منهم أجسادًا خوَت وحركاتٍ سكنت ولَأن يكونوا عِبَراً،

أحق من أن يكونوا مفتخَراً، ولَأن يهبطوا بهم جناب ذِلَّة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّة لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة، وضربوا منهم في غمرات جهالة، ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية، لقالت: ذهبوا في الأرض ضُلَّالا، وذهبتم في أعقابهم جُهَّالا، تطؤون في هامهم وتستثبتون في أجسادهم تكرعون في ما لفظوا، وتسكنون في ما خرّبوا، وإنما الأيام بينكم وبينهم بواكٍ ونوائح عليكم، أولئك سلف غايتكم، وفُرّاط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العزّ، وحلبات الفخر، ملوكًا وسِوَقا، سلكوا في بطون البرزخ سبيلًا سُلِّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادًا لا ينمون، وضمارًا لا يوجدون».[1]

الثقلان الأصغر والأكبر لا ينكران الزيارة بما هي زيارة وإنما ينكران الدافع والهدف لتلك الزيارة، أما مطلق الزيارة للقبور فقد قامت الأدلّة الشرعية والعقلية والتاريخية على مشروعيتها، بل على رجحانها ومحبوبيتها، ولسنا في صدد التفصيل في المسألة، ولكن نشير إلى بعض الأدلة على ذلك.

فمنذ عهد الرسالة والسيرة قائمة على زيارة القبور انطلاقًا من سيرة الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله فقد كان يزور القبور ويأمر بزيارتها.

قال السيد محسن الأمين: قد ثبت أن النبيصلى الله عليه وآله كان يزور البقيع وشهداء أحد، وروى ابن ماجة بسنده عنهصلى الله عليه وآله: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**».[2]

---

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ٢٢١.

(٢) شجرة طوبى: ٢/ ١٩٥.

وبسند عنه صلى الله عليه وآله: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تُزَهِّد في الدنيا وتذكر الآخرة**».[١]

وروى النسائي: «**ونهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر**». وروى مسلم في صحيحه[٢] وابن ماجة والنسائي بأسانيدهم عن أبي هريرة: (زار النبي صلى الله عليه وآله قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله).

وروى ابن أبي شيبة عن أبي جعفر: «**أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تزور قبر حمزة ترمُّه وتصلحه**. وروي عنه: **أن فاطمة كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة وتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت**».[٣]

وجرت على ذلك سيرة المسلمين على طول تاريخهم إلا من شذّ منهم قد حَرّموا زيارة القبور من غير برهان ثابت ولا حجة قائمة.

أما مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإن الأمر واضحٌ لديها كل الوضوح فيما يتعلق بزيارة القبور وجوازها، بل ورجحانها واستحبابها، ويتضح ذلك من النصوص الكثيرة الواردة عن أئمة أهل البيت وسيرتهم العملية.

ونحن - أتباع أهل البيت عليهم السلام - ندين لله ونتعبّد له بما صحّ عنهم عليهم السلام وإن لم يثبت عند غيرهم، وليس ذلك من باب العصبية والتطرف وإنما لعلمنا واعتقادنا بأنهم عليهم السلام هم حملة الدين، وحفظة الشريعة، قد استوعبوا كل مفاهيم الرسالة وأحكامها وفلسفتها، لا يجهلون شيئًا من دقائقها وتفاصيلها.

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٥، بهامش ارشاد الساري.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٥.

(٣) وفاء الوفاء: ٢/ ١١٢.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في شأن أهل البيت عليهم السلام:

«هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حِكَم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وِعايةٍ ورعاية، لا عقل سماعٍ ورواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل».[1]

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٣٩.

فلسفة الزيارة ومعطياتها:

أما فلسفة الزيارة وآثارها فإنها تتفاوت فضلاً وآثارًا بين زيارة وأُخرى، ويرجع ذلك إلى شأن صاحب القبر وفضله ومقامه:

أ- فإن كان صاحب القبر شخصًا عاديًّا من المؤمنين فإن الواقف على قبره وزائره يستوحي معاني تتعلق بحياة الإنسان ونهايته ومصيره، فالزائر يتأمل في القبر وصاحبه، وقد تكون بين الحي (الزائر) والميت علاقة إما شخصية أو نسبية، فإن المسألة سوف تتأكد حيث يتذكر الزائر تلك الحياة التي عاشها هذا الميت ومواقفه، فإذا هو الآن تحت التراب بل تحوّل إلى تراب، وإن مصير الحي هو نفس المصير، فعند ذلك تصغر الدنيا في نفسه ويفكّر في أن يراجع حساباته في تعامله في الحياة وشؤونها، فإن كان لديه نوعٌ من التقصير فيما يرجع إلى دينه ومصيره في الآخرة، يحاول أن يصحح ما لديه من أخطاء ومخالفات.

قال أبو العلاء المعرّي:

صاحِ هذي قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور مِن عهد عادِ

خفّف الوطء ما أظن أديم الـ ـأرض إلا من هذه الأجسادِ

سِرْ إن استطعت في الهواء رويدًا لا اختيالًا على رفات العبادِ

رُبَّ لحدٍ قد صار لحدًا مرارًا ضاحكٍ من تزاحم الأضدادِ

ودفينٍ على بقايا دفينٍ من طويل الأزمان والآبادِ

ب- أما إذا كان صاحب القبر من الأرحام الأقربين للزائر مثل الوالدين وسائر الأرحام، فإن في هذه الزيارة نوعًا من البر بالوالدين وصلة الرحم، وهذان المبدآن - أعني بر الوالدين وصلة الرحم - قد أكّد عليها الإسلام، فإن برّ الوالدين وصلة الرحم لا تنحصر على الحياة الدنيا، أي مادام الوالدان والأرحام على قيد الحياة، إذ ربّ بارٍّ بوالديه في حياتهما عقَّهما بعد وفاتهما، ورُبّ عاقٍّ لوالديه في حياتهما برّهما بعد وفاتهما، لذلك نجد القرآن الكريم حينما يؤكد على بر الوالدين في قوله تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَّهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.[1]

نجده يعطي هذه الالتفاتة في قوله تعالى: **﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**.

إشارةً إلى برّهما بعد الموت بالدعاء والعمل الصالح وإهدائه إلى روحيهما، من صلاةٍ وصيامٍ وتلاوة كتاب الله وزيارتهما في قبريهما، فإن كل ذلك نوعٌ من البر بهما.

ج- وأما إذا كان صاحب القبر من ذوي الشأن الرفيع والمقام العظيم عند الله، كالأنبياء والأوصياء والشهداء والأولياء الصالحين، فإن الزيارة لقبور هؤلاء تكون لها أبعاد متعددة وآثارٌ جمّة، فهي:

أولًا: توثّق وتؤكد الصلة والعلاقة الفكرية والروحية بين هؤلاء المقربين

(١) سورة الإسراء: ٢٢-٢٤.

وأجيال الأمة، حيث يجب أن تبقى هذه الصلة وثيقة بينهم وبين الأجيال، لأنهم يمثلون صفوة البشرية وهم طرق هداية العباد إلى الله، والسبل المقرّبة إليه تعالى.

وبما أنهم هم الذين علّموا البشرية كيف تكون العلاقة بين الإنسان وربه، فلهم الحق الأكبر بعد حقّ الله تعالى، بل حقهم جزءٌ أو امتداد لحق الله جلّ وعلا.

ثانيًا: من خلال الوقوف على قبور هؤلاء تتذكر الأجيال تلك الأدوار الجهادية التي قاموا بها، وما عانوه من متاعب في سبيل هداية الناس وتعليمهم وهدايتهم، ومن خلال هذا التذكّر يأتي دور التأسّي والاقتداء من قِبل الزائر بهؤلاء الأسوة والقدوة، وكل هذه الأمور يستوحيها الزائر من وقفته وزيارته لا سيما إذا كانت الوقفة وقفةً واعية، لا وقفة اعتيادية.

ثالثًا: إن الزيارة لأحد هؤلاء طريق للتعرف أو لزيادة التعرّف على شخصية المَزور، لا سيما إذا لاحظنا نصوص الزيارات التي وضعها المعصومون عليهم السلام في حق باقي المعصومين، أو من له صلة بهم.

فقد وردت عنهم عليهم السلام: زيارات خاصة كثيرة حتى أصبحت هذه النصوص تشكّل جزءًا كبيرًا من تراث أهل البيت الفكري والعقدي؛ لأنها تضمنت جوانب عقدية وفكرية وعبادية وغيرها. إلا أن المحور الأساس لهذه الزيارات هو التعريف بالمزور، وما كان يتحلى به من جوانب الفضل والفضيلة والكمالات النفسية والإنسانية، ومن الطبيعي أنه كلما كان الزائر أعرف بالمزور كان التأثر بشخصيته وسيرته أقوى وأقرب.

فبالإضافة إلى سائر المعطيات والإيحاءات السابقة المشتركة بين عموم

الأموات وأصحاب القبور، تتميز زيارة النخب وصفوة البشريّة من الأنبياء والأئمة وسواهم من الشهداء والأولياء بخصائص وفلسفة خاصة تتعلق بصلة أجيال الأمة وعلاقتها بهؤلاء وتأسّيها بهم.

«لقد وجه أئمة أهل البيت شيعتهم نحو زيارة النبي والأئمة السابقين عليهم السلام لخدمة هدف كبير هو بقاء الصلة حية ونابضة بين الإسلام الحق والإنسان الشيعي؛ لئلا يتحول الإسلام في ذهنه إلى مجرد ممارسات طقسية وفقه ميت ولئلا تكون النماذج التطبيقية الرسمية للإسلام التي يعايشها المسلم في حياته اليومية على صعيد الحكم وعلى صعيد المجتمع هي النماذج المحتذاة والمعترف بها من قبله.

وإنما تبقى حية في ذهنه النماذج السليمة والبريئة الصافية للإسلام وتبقى حية في ذهنه الممارسات الأمينة والصادقة للإسلام.

إن أئمة أهل البيت حين أقرّوا الزيارة أرادوا أن يجعلوا الإنسان الشيعي على صلة حية ومباشرة بأعمدة إسلامه في الفكر والنظرية في التطبيق والبشرية.

فالنصوص التي يزار بها رسول الله تسلط الأضواء على جهود رسول في الدعوة إلى الإسلام ونشره وتبيينه إلى جانب ما تشتمل عليه من عبارات المدح والثناء لشخص الرسول وتعظيمه وتكريمه، والنصوص التي يزار بها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب تتضمن بيان جهوده الفكرية والعملية في سبيل الإسلام، وكذلك النصوص التي يزار بها أئمة أهل البيت الآخرون، فتكاد كل زيارة من الزيارات المعتمدة تشتمل على تعهد أمام الله ينشئه الإنسان الشيعي مع المزور بوجه خاص ومع الرسول وأئمة أهل البيت بوجه عام على أن يبقى أميناً

على عهدهم وشريعتهم وسنتهم».[١]

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن من حرّم زيارة القبور ومنعها حتى جعلها من مظاهر الشرك.

أن منشأ هذا التحريم منشأٌ سياسي ولاسيما زيارة الأولياء وبالأخص زيارة أئمة ورموز أهل البيت عليهم السلام لأن من أهداف هذه الزيارة ربط الأمة بهؤلاء الرموز والقادة العظماء وليبقى الإنسان الشيعي بصورة خاصة والمسلم بصورة عامة لايعتبر الخط السياسي الحاكم في التاريخ مثالاً للحكم الإسلامي، فوُضعت الروايات زورًا في هذا المجال لجعل الزيارة لقبور عظماء الأمة الحقيقيين نوعًا من العبادة لغير الله، وأنها لا تلتقي مع خالص التوحيد؛ كل ذلك لإبعاد الأجيال عن هؤلاء الذين يمثلون الإسلام الصحيح وإلّا فالمسألة واضحة كل الوضوح.

ومن نصوص الزيارات الواردة عن المعصومين نص الزيارة التي يزار بها أبو الفضل العباس والتي سوف تكون محوراً لهذه القراءة المتواضعة لنستوحي منها ما يمكننا استيحاؤه للتعرف أكثر على هذه الشخصية العملاقة وما لأبي الفضل العباس من مقامات عند الله تعالى من خلال ما ورد على لسان المعصوم الذي ليس في كلامه أي تجاوز عن الحد في وصف من يصفه وإطراء من يطريه فلا يصف أي شخص إلّا بما هو أهله وإلّا كان ذلك تغريراً بالناس وهذا ما لا يجوز أن يصدر من المعصوم.

(١) ثورة الإمام الحسين في الوجدان الشعبي: ٥٨-٥٩.

الفصل الثالث

نص الزيارة ودلالاتها

النص

«سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصديقين والزاكيات الطيبات في ما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، السلام عليك ورحمة الله وبركاته».

السلام من الله والسلام من العباد:

لفظة السلام مأخوذةٌ من السلامة بمعنى سلامة الموجود من الآفات والعاهات، وكل ما يمكن أن يدخل عليه أي نوع من الأذى والنقص جسدياً وروحياً مادياً ومعنوياً، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى فإن من أسمائه تعالى (السَّلامُ المُؤمِن) لأنه جل وعلا سالم من كل نقص في ذاته وصفاته فهو تعالى الكمال المطلق.

وفي الدعاء:

(اللهم أنت السّلام ومنك السلام).

فأنت السلام لأنك ليس في ذاتك جهة من جهات النقص، فأنت الكمال المطلق في كل جهات الكمال ذاتاً ووصفاً، ومنك السلام أي أنك الذي تحيط وتمد من شئت من عبادك بالسلامة والأمن والأمان والكمال.

ويختلف مفهوم السلام من الله تعالى عن مفهوم السلام من العباد كمفهوم الصلاة من الله تعالى والصلاة من العباد في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.[١]

فإن معنى الصلاة من الله على نبيه هي الرحمة والمزيد من إفاضة الكمال والدرجات على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وأما الصلاة من الملائكة فهو الاستغفار، والصلاة من الناس الدعاء منهم بأن الله تعالى يصلي على نبيه وأن يزيده فضلاً وكمالاً وعلواً، كذلك الحال هنا في مفهوم السلام من الله تعالى على خلقه، فهو يعني توفير الأمن وسد النقص والحاجات للمخلوق وإبعاده عن كل ما ينغص عليه عيشه وحياته سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة ولذلك سميت الجنة بدار السلام، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾.[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.[٣]

وإنما سميت الجنة بدار السلام لأن أهلها سالمون من جميع الآفات والسلبيات التي تكدّر عليهم صفوَ حياتهم وعيشهم فيها مما يجري على أهل الدنيا من مرضٍ أو وصبٍ وفقرٍ وفراق أحبةٍ وتغيير حالٍ وهرمٍ وموتٍ وما شابه ذلك وهم في سلامٍ وأمان شامل وراحةٍ تامة دائمة وكذلك لأنها – أي الجنة – هي دار الله، والله هو السلام فدارُ السلام تعني دار الله.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٧.

(٣) سورة يونس: ٢٥ .

وقد سلّم الله تعالى في كتابه المجيد على جملةٍ من أنبيائه وأوليائه كما في مواضع عديدة في كتابه العزيز نشير إلى بعض النماذج:

أ- قال تعالى: ﴿**سَلامٌ علَى نُوحٍ فِي العَالَمِين**﴾.

جاء هذا السلام في سياق عدد من الآيات تتحدث عن نبي الله نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿**وَلَقَد نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُون * وَنَجَّينَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيم* وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِين * وِتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلى نُوحٍ فِي العَالَمِين* إنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحسِنين * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنين**﴾[1].

وهذه المجموعة من الآيات تحكي مظاهر السلام الذي منحه الله تعالى لنبيه ورسوله نوح عليه السلام.

ب- وقال تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِين**﴾[2].

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**يس محمد صلى الله عليه وآله ونحن آل يس**»[3].

جـ- وقد حكى الله تعالى سلامَ عيسى على نفسه في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ وَيَومَ أَمُوتُ وَيَومَ أُبعَثُ حَيًّا**﴾[4].

د- وسلّم الله تعالى على نبيه يحيى بقوله تعالى: ﴿**وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَومَ وُلِدَ وِيَومَ يَمُوتُ وَيَومَ يُبعَثُ حَيًّا**﴾[5].

---

(١) سورة الصافات: ٧٥-٨١.
(٢) سورة الصافات: ١٣٠.
(٣) مجمع البحرين: ٦/ ٨٥.
(٤) سورة مريم: ٣٣.
(٥) سورة مريم: ١٥.

وإنما ذكرت الأيام الثلاثة بالخصوص يوم الولادة ويوم الوفاة ويوم البعث لأنها أصعب الأيام التي يمر بها الإنسان في تقلباته في عالم الوجود فهي تمثل مراحل انتقال الإنسان من عالم إلى عالم آخر، فيوم الولادة ينتقل من عالم الأرحام إلى عالم الدنيا، ويوم الموت ينتقل الإنسان من هذا العالم إلى عالم البرزخ، ويوم البعث ينتقل من عالم البرزخ إلى عالم البعث والنشور(عالم الآخرة)، فمن الطبيعي أن تكون هذه الأيام مصحوبة بالاضطراب والقلق، فالله تعالى يكتنف خاصة عباده بسلامته ورعايته.

في عيون أخبار الرضا بإسناده إلى ياسر الخادم قال: سمعتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «**إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا ويومَ يموت ويُعاين الآخرة وأهلها ويومَ يُبعثُ فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا وقد سلَّم الله عزَّ وجلَّ على يحيى في هذه الثلاثة المواطن، وآمنَ روعته، فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[1]، وقد سلَّمَ عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن، فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾[2]**»[3].

فمما تقدم اتضح معنى السلام من الله تعالى على من يستحق منه السلام من عباده، وأما السلام من العباد فمعناه الدعاء والطلب من الله تعالى أن يُنزل سلامته ورحمته ولطفه للشخص المخاطب والمعني بالسلام.

---

(١) مريم: ١٥.

(٢) مريم: ٣٣.

(٣) تفسير الميزان: ١٤/ ٢٧.

السلام شعار الإسلام:

وقد جعل الإسلامُ السلامَ شعاراً بين أفراد المسلمين وجماعاتهم ودعاهم إلى إفشاء السلام فيما بينهم فهم يتبادلون السلام، فإذا سلّم أحدهم على آخر فيجب على الطرف الآخر أن يجيبه بنفس التحية والسلام .

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾[1] .

والجدير بالملاحظة أن التحية الإسلامية لابد أن يؤتى بها بلفظ السلام وكذلك الجواب، فلا تشغل أيةُ عبارة أخرى من العبارات محلها.

وفحوى هذا الشعار الإسلامي هو أن يشعر كل فرد من أفراد المسلمين بالأمن والأمان من المسلمين الآخرين، فحينما يلتقي المسلمان فيسلم أحدهما على الآخر ويلقي عليه تحية الإسلام فهو قد ألقى إليه السلام وأعطاه الأمان من نفسه فكأنما يخاطبه بقوله: أنت في سلامٍ مني فلا تخشَ كيداً أو غدراً أو أي نوع من أنواع الأذى، عند ذلك يجب على الطرف الآخر أن يبادله بالمثل فيردَ عليه التحية بأحسن منها أو مثلها.

فهذه فلسفة هذا الشعار فكم له من أثر في نشر الأمن والاطمئنان والأمان والثقة بين فئات المجتمع الإسلامي وأفراده، ولذلك فإن ترك السلام بأن يمتنع المسلم عن السلام على أخيه المسلم جفاء وقطيعة فإن ذلك يمثل مؤشراً على سوء العلاقة بين الطرفين، وهذا ما يتنافى مع روح الأخوّة الإسلامية التي ينشدها الإسلام لأتباعه، حيث جعل هذا الشعار - أعني السلام - فيما بينهم تأكيداً وتأصيلاً لروح الأخوّة الإسلامية، كما جاء عن الرسول الأعظمﷺ أنه

---

(١) النساء: ٨٦.

قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابّوا، أولا أدلكم على شيءٍ إن فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**».[١]

ومن أجمل الروايات الواردة في هذا المقام ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا سلّم أحدكم فليجهر بسلامه، لا يقول سلّمت فلم يردّوا عليّ، ولعله يكون قد سلّم ولم يُسمعهم ،فإذا رد أحدكم فليجهر برده، ولا يقول المسلِّم سلّمتُ فلم يردوا عليّ، ثم قال: كان يقول أمير المؤمنين: لا تغضَبوا ولا تُغضِبوا أفشوا السلام وأطيبوا الكلام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، ثم تلا عليهم قول الله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾**[٢]».[٣]

ولأهمية السلام في نظر الإسلام وحرصِه على تربية الفرد المسلم والأمة المسلمة على روح السلام وتأصيل روح السلام وتعميقها في فكر المسلم ووجدانه؛ جعل صيغة السلام ختاماً لكل صلاة يصليها المسلم فريضةً أو نافلةً فهو يكررها على الأقل بين اليوم والليلة خمس مرّات بصيغها الثلاث:

الصيغة الأولى:

يخاطَب بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته). لأنه صلى الله عليه وآله رسول الرحمة والسلام.

والصيغة الثانية:

(السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

---

(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت: ٥/ ١٦٣.

(٢) الحشر: ٢٣.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت: ٥/ ١٥٩.

الإنسان المسلم هنا يسلم على نفسه وعلى المجتمع الصالح مجتمع السلام والأمن والأمان.

والصيغة الثالثة:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

فهنا يوجّه المسلم السلام على كافة المخلوقين من الأنبياء والرسل والأولياء والملائكة، وهذا يدعو إلى أن الإنسان المسلم يعيش السلام في نفسه لنفسه ولمن حوله وسائر المخلوقات في العالم.

السلام على أبي الفضل العباس:

وقد جمعت الزيارة لأبي الفضل العباس عليه السلام بين السلام من الله والسلام من العباد كما جاء في نص الزيارة:

«سلام الله وسلام ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصديقين، والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين».

أما السلام من الله تعالى فهو الإفاضة لمزيد من العطاء والأمن والأمان والفضل والكمال على هذا الولي المقرب والشهيد المعظّم وهو في جوار الله وقربه ورضوانه: ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ**﴾.[1]

وأما السلام من العباد فيتمثل في:

أولّا: السلام من الملائكة المقربين فهو إما بمعنى الاستغفار والدعاء من الملائكة المقربين لولي الله أو يعني توسط الملائكة في إيصال الفيض من الله تعالى إلى وليّه فإن من وظائف الملائكة وأدوارهم كونهم وسائط للفيض والتدبير الإلهي كما في قوله تعالى: ﴿**فالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً**﴾.[2]

كيف لا وأبو الفضل قد أصبح بمعية الملائكة في عالمهم عالم الرضوان والسلام.

كما عن الإمام زين العابدين عليه السلام لمّا نظر إلى عبيد الله بن العباس قال:

---

(١) سورة القمر: ٥٥.

(٢) سورة النازعات: ٥.

«رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قُطِعت يداه فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب».[1]

ثانيًا: يأتي عطف الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين والشهداء والصدّيقين على الملائكة المقربين، فهذه الفئات كلها تسلم على أبي الفضل العباس كما سلّم الله عليه وسلّم الملائكة المقربون.

فيا ترى ماذا يعني السلام من هؤلاء على أبي الفضل وهم يعيشون في ذلك العالم الأسمى عالم اللطف والسلام والفيوضات الربانية؟ فهل السلام منهم بمعنى الدعاء؟ أو بمعنى التوسط أيضاً؟ الله العالم بذلك. وهناك وجه آخر لمضمون هذه العبارات، وهو أن أبا الفضل يأتيه السلام واللطف من الله تعالى كما يفاض على هذه الأصناف من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين والشهداء والصدّيقين؛ لأنه ينتمي إلى هذه الفئات المتميزة من بين العباد، فعلى هذا تكون الزيارة في صدد البيان أنَّ أبا الفضل هو في قائمة هؤلاء الذين ميزهم الله على خلقه في جواره ورضوانه فمنحهم تلك المقامات السامية والدرجات الرفيعة، ولنقف وقفاتٍ قصيرة عند هذه الأصناف الربانية.

أ- الفئة الأولى فئة الأنبياء والمرسلين الذين كانوا في الدنيا وسائط بين الله والعباد في دور الهداية إلى الله تبارك وتعالى، فهم كانوا يمثلون الصلة بين السماء والأرض في تلقيهم الوحي الإلهي لهداية الناس وإضاءة الطريق للعباد في السير إلى الله تعالى.

---

(١) الخصال: ١/ ٦٨.

ب- الفئة الثانية هم عباد الله الصالحون، وهم الذين كانوا يعيشون في الدنيا العبودية التامة لله، وقد وُصفوا بالصالحين، والصلاح نقيض الفساد فهم صالحون في كل جهات وجودهم وحياتهم ليس فيهم جهة من جهات الفساد، لا في جانب الفكر أو الأخلاق أو المشاعر أو الأعمال والممارسات، وقد وصف الله في كتابه المجيد جملة من أوليائه بالصلاح كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِسمَاعِيلَ وَإِدْرَيسَ وذَا الكِفْلِ كُلٌ مِنَ الْصَّادِقِين * وَأَدخَلنَاهُم فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِنَ الصَّالِحِينْ**﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿**وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصالحين**﴾.[٢]

وقال تعالى في حق يونس: ﴿**فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِين**﴾.[٣]

جـ- الفئة الثالثة فئة الشهداء وهم الذين بذلوا دماءهم وضحّوا بحياتهم في سبيل الله لسقاية شجرة الإسلام والإيمان على طول التاريخ أو الذين يشهدون على الناس وأعمالهم في الآخرة.

د- الفئة الرابعة الصدّيقون، جمع صدّيق وهو من صيغ المبالغة، وهو بمعنى الصادق في ظاهره وباطنه فـ«هم الذين يصدقون القول ويصدّقون إيمانهم بالعمل الصالح ويثبتون أنهم ليسوا مجرد أدعياء الإيمان بل مؤمنون بصدقٍ بأوامر الله وتعاليمه.... ومن هذا التعبير يتضح أنه ليس بعد مقام النبوة أعلى من مقام الصدق، وهذا الصدق لا ينحصر في الصدق في القول فقط بل هو الصدق في الفعل والعمل.... الصدق في الممارسات والمواقف وهو لذلك يشمل الأمانة

(١) سورة الأنبياء: ٨٤-٨٥.
(٢) سورة الصافات: ١١٢.
(٣) سورة القلم: ٥٠.

والإخلاص أيضاً لأن الأمانة هي الصدق في العمل كما أن الصدق أمانة في القول. وفي المقابل ليس هناك صفة بعد الكفر أقبح من الكذب والنفاق في القول والعمل.... وقد فُسِّر الصدّيق في بعض الروايات والأخبار بعلي - عليه السلام - والأئمة من أهل البيت - عليهم السلام - وهذا التفسير من باب بيان المصداق الأكمل والأوضح...».[1]

وقد اجتمعت لأبي الفضل العباس أغلب هذه الفضائل والسمات الرفيعة، فهو من الصدّيقين الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم، فأعطاه الله تعالى عظيم الدرجات والمقامات في عالم اللطف والسلام والأمن والأمان، تلك المقامات والدرجات التي أُشير إليها في نص الزيارة بشيءٍ من التفصيل فيما يلي:

«وأشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً وأفضلها غرفاً ورفع ذكرك في عليين وحشرك مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً».

وهو من الشهداء الذين سقوا شجرة الإسلام بدمائهم الزكية بل أن أبا الفضل من أعظم الشهداء، وفي الدرجة الأعلى من بين المجاهدين والمضحين في سبيل الله كما في الحديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام حيث قال:

---

(١) تفسير الأمثل: ٣/ ٢٧٩.

«**وإن للعباس عند الله منزلةً يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة**».[١] وهو من عباد الله الصالحين كما جاء في زيارته عليه السلام:

«**السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين – عليهم السلام – السلام عليك ورحمة الله وبركاته**».

وبهذه الطاعة لله وللرسول وللأئمة الطاهرين أصبح أبو الفضل مصداقاً من مصاديق الآية الكريمة التي جمعت الصفوة من البشرية والذين أنعم الله عليهم بالنعمة الكبرى وهي نعمة القرب الإلهي، أعني قوله تعالى:

«**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيّين وَالصدّيقِينَ وَالشُهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئَكَ رَفِيقاً**».[٢]

فلمّا اجتمعت لأبي الفضل العباس هذه الخصائص والسمات فمن الطبيعي أن يفيض عليه الله تحياته وسلامه وصلواته كما نقرأ في الزيارة:

«**والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين**».

والزاكيات الطيبات هي الصلوات والتحيات الربانية والنفحات الإلهية، أما جملة «**فيما تغتدي وتروح**» فيحتمل فيها وجهان:

الوجه الأول: أن ضمير تغتدي وتروح راجعٌ إلى الزاكيات الطيبات بمعنى أن هذه الصلوات في تكرارها ودوامها ذاهبة وراجعة عليك يا بن أمير المؤمنين.

الوجه الثاني: أن الضمير راجعٌ إلى نفس المَزور، بمعنى أن الزاكيات الطيبات من الله تعالى تشملك في غدوكَ ورواحك وتقلباتك في ذلك العالم عالم الرضوان والملكوت.

---

(١) الخصال: ١/ ٦٨.

(٢) النساء: ٦٩.

الفصل الرابع

البصيرة ودورها
في
علاقة أبي الفضل العباس بالمعصومين

النص

«....أشهد لك بالتسليم، والتصديق، والوفاء، والنصيحة لخلف النبي المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلِّغ، والمظلوم المهتضم فجزاك الله عن رسوله، وعن أمير المؤمنين، وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت فنعم عقبى الدار... ».

«....فجزاك الله أفضل الجزاء وأوفر الجزاء وأكثر الجزاء وأوفى جزاء أحدٍ ممن وفى ببيعته واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره...».

من خصائص مدرسة أهل البيت – عليهم السلام – أنها تَعتبر الإمامة والإيمان بها من أصول الاعتقاد وأن الإمامة تعتمد على قواعد ثلاث:

القاعدة الأولى:

الاصطفاء والنص الإلهيان وأن ليس لاختيار الناس وآرائهم أي دور في شؤون الإمامة.

القاعدة الثانية:

قاعدة العلم الخاص بمعنى أنَّ علم الإمام لا بد أن يكون علماً لدُنيَّاً: أي من لدنّ الله تعالى، وليس علماً اكتسابياً كعلم بقية الناس، فيكون الفيض الإلهي والعناية الربانية هو الأساس في ذلك العلم.

القاعدة الثالثة:

قاعدة العصمة بأن يكون الإمام معصوماً عن كلِّ ما يخرجه عن جادّة الحق لا عمداً ولا سهواً، لا اعتقاداً ولا علماً ولا عملاً.

وبهذه القاعدة الثالثة – أعني العصمة – نضمن استقامة المسيرة للأمة بقيادة الإمام، الاستقامة عند القيادة والقاعدة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا وإنَّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه**».(١)

فما لم تتوفر العصمة في الإمام لا يمكن لنا أن نضمن استقامة المأموم على جادّة الحق بينما من يأتم به – أعني الإمام – يُحتمل فيه الانحراف ولو عن طريق الخطأ والاشتباه، العصمة هي صمام الأمان لمسيرة الأمة بقيادة الإمام.

قال سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام في كتابه لأهل الكوفة:

«**لعَمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله**».(٢)

في هذا المقطع القصير جمع الإمام الحسين عليه السلام مواصفات إمام الحق التي لا بُدَّ من توفرها فيمن تكون قيادة الأمة بيده.

أ- العامل بكتاب الله العزيز والساعي لتطبيق أحكامه والعمل به في حياة الأمة؛ لذلك من الضروري أن يكون مستوعباً لكل مفاهيم الكتاب العزيز وأحكامه كما نزلت من قِبَل الله تعالى ليمكنه العمل به.

---

(١) نهج البلاغة، رسالته إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥.

(٢) وأنا من حسين: ٦٤. وقعة الطف، لأبي مخنف الكوفي: ٩٦.

ب- السائر بالعدل في حكمه بعيداً عن الظلم والجور؛ لأنه يمثل عدل الله في الأرض.

جـ- الدائن بالحق: أي الجاعل الحق هدفه وغايته في كل ممارساته من الأقوال والأفعال، فدينه الحق ولا تأخذه في الحق لومة لائم.

د- الحابس نفسه على ذات الله حيث لا يغفل عن الله في حال من الاحوال ولعل هذه إشارة إلى قاعدة العصمة في شخص الإمام.

هذا فيما يتعلق بشخص الإمام، وأما من جهة المأموم فإنه لا يمكن أن يحقق الاستقامة لنفسه، ويرتقي في مدارج الكمال إلا بقدر ما يحقق في حياته من مبدأ الاتباع والاقتداء والتأسي بالإمام المعصوم، والاستضاءة بنور علمه، ويعتمد ذلك على مبدأ الوعي والبصيرة في الدين وفي شأن الإمام والإمامة من قبل المأموم، فكلما كانت درجة الوعي والبصيرة لدى المأموم أرفع كان اقتداؤه وإتباعه أقوى وأشمل وأعمق.

قال بعض أهل العلم: (والمعرفة على ثلاثة أنحاء. جلالية وجمالية وكمالية. ونذكر مثالا لتقريب المعنى، فإنك لو رأيت جبلا عن بعد فإنك ستعرفه بحدوده وأنه ليس شجرًا ولا حيوانًا ولا إنسانًا وإنما هو جبل – جماد – فهذه المعرفة يقال لها معرفة جلالية، ولكن لو اقتربت منه ورأيت جماله وصلابته وشموخه، فهذه معرفة جمالية. وعندما تعتليه وترى كنهه وواقعه فهذه معرفة كمالية، وهكذا معرفتنا نحن للأئمة الأطهار.

وقد ورد في الزيارة الجامعة: «**ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عَرَّفَهُم جلالةَ أمرِكم**». أي حتى عدوهم يشهد بفضلهم لأنه يعرفهم معرفة جلالية وهناك من يعرف

أمير المؤمنين والإمام الحسين معرفة جمالية فلذلك استحق سلمان أن يكون من أهل البيت، فقال رسول الله في حقه: «**سلمان منا أهل البيت**».[١]

فتراه ملازما لأمير المؤمنين عليه السلام، فكلما دخل الأصحاب المسجد وجدوا سلمان بجوار مولاه ويشرب من معينه الصافي. فاتفقوا على أن يسبقوا سلمان إلى أمير المؤمنين، فباكروا بالمجيء وفعلا لم يجدوا في الطريق إلا آثار أقدام الإمام ففرحوا بذلك، ولكن عندما وصلوا المسجد وجدوا سلمان جالسًا عند أمير المؤمنين عليه السلام فتفاجؤوا فقالوا: يا سلمان من أين أتيت؟ أَنَزَلْتَ من السماء أم خرجت من الأرض؟ فقال: إنما جئت من حيث جئتم. فقالوا: فأين آثار أقدامك؟ فقال: إني لما رأيت أقدام أمير المؤمنين وضعت أقدامي عليها لأني أعلم أنه لا يضع قدما ولا يرفعها إلا بحكمة وعلم.

هكذا يعرف سلمان مولاه، وهكذا يقتفي أثره، فمعرفة سلمان بالإمام معرفة جمالية، وهناك معرفة أخرى بالأئمة وهي المعرفة الكمالية وهذه منحصرة بالله تعالى ورسوله حيث صرح بذلك النبي بقوله: «**يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا**».[٢] والسبب واضح، وهو أنه لا يعرف حقيقة الولي والحجة وباطن أمير المؤمنين إلا من كان محيطا بذلك تمام الإحاطة؛ فعلى هذا الكلام تكون معرفتنا نحن بالأئمة معرفة جمالية لا كمالية، فكلما ازدادت معرفتنا بهم ازداد حبنا لهم، وإذا ازددنا حبًا ازددنا أدبا ومن خلال الأدب والحب نزداد علما ونورا في ساحتهم وروضتهم.[٣]

---

(١) المغازي للواقدي: ٤٣١.

(٢) معاجز أمير المؤمنين: ٤١٣.

(٣) من مقدمة لزيارة الإمامين الكاظمين لأحد خدمة الإمامين: ٦ – ٧.

البصيرة ودورها في حياة الإنسان

البصيرة لغة هي المعرفة، والمعنى الاصطلاحي والعقلي للبصيرة هو الاعتقاد الراسخ والعقيدة الثابتة، وهي - أي البصيرة - بالنسبة إلى القلب مثل الباصرة في العين، قال الشريف الجرجاني في التعريفات: البصيرة قوةٌ للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء، وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى بها صور الأشياء وظواهرها.[1]

والبصيرة هي التي تمنح الإنسان وضوح الرؤية في الأمور والمواقف والقرارات التي يتبناها في حياته فلا تلتبس عليه الأمور ولا تختلط أمامه الخطوط والاتجاهات، فيقف وهو يعلم لماذا يقف، ويتبنى القرار على علمٍ ووعي ويوالي ويعادي وهو عالمٌ،لماذا هذا الولاء وهذا العداء.

بينما من فقد البصيرة فإنه على مشارف الانقلاب والتحول من دائرة الحق إلى دائرة الباطل، كما قال تعالى:

﴿وَمِنَ الْنَاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اْطْمَأَنَّ بِه وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ اِنقَلَبَ عَلَى وَجْهِه خَسِرَ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِين﴾.[2]

وكم في التاريخ من نماذج وشواهد من النوعين - أعني أصحاب البصيرة والفاقدين لها - ومن أبرز المصاديق في ذلك ما كان يوم صفين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان جامعاً بين النوعين، فمن جانب أهل البصيرة يقف أبو اليقضان عمار بن ياسر منشداً يخاطب أهل الشام:

---

(١) التعريفات: ٣١

(٢) الحج: ١١.

نحـــن ضربنـــاكم عـــلى تنزيلـــهِ واليـــوم نـــضربكم عـــلى تأويلـــهِ

ضربـــاً يزيـــل الهـــام عـــن مُقيلِـــه ويـــذهل الخليـــلَ عـــن خليلـــه[١]

ومضمون هذا الرَجز من هذا الرجل المجاهد يمثل البصيرة التي كان عليها، فهو لا يفرق بين قتاله يوم صفين بين يدي أمير المؤمنين، وقتاله يوم بدر وأحد وسائر الحروب التي اشترك فيها بين يدي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ لأنه يرى العدوَّ هو العدو، لا يختلف إلا في الشعار والظاهر أما حقيقة الدور وأهدافه لا يختلف بين الأمس واليوم، غاية ما هناك أنّ الصراع بالأمس صراع بين الكفر والإسلام على تنزيل القرآن والتصديق والإيمان به، أما الصراع يوم صفين فهو صراع على تطبيق القرآن والعمل به، والأمران جوهرهما واحد لا يختلفان.

ثم قال عمار: «والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل».[٢]

هكذا تمنح البصيرة صاحبها هذا الوضوح حيث لا يؤثر عليه اختلاف الأحوال من نصرٍ أو هزيمة، فعمار يقول حتى لو اقتضت ظروف المعركة أن يكسب العدو الجولة وينهزم عسكرياً هزيمة بعيدة إلى درجة أن نصل في الهزيمة إلى سعفات هجر هذه المسافة البعيدة، فإن ذلك لا يؤثر على بصيرتنا وموقفنا، فلا نقول إنما هزمونا لأنهم هم المحقون ونحن على الباطل، فهذا من آثار وثمار البصيرة.

---

(١) وقعة صفين: ٣٤١.

(٢) وقعة صفين: ٣٢٢.

وبالمقابل النموذج الآخر في ذلك اليوم يتمثل في جماعة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين، بعد ما تعرضوا للفتنة في ذلك اليوم مع أنهم معروفون بالعبادة والصلوات ويُعرفون بالقرّاء، إلا أنهم كانت عباداتهم وصلواتهم وتدينهم على غير بصيرة، فكانوا مصداقاً للآية الكريمة ﴿**وَمِنَ النَّاس مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْف...**﴾.[1]

والفتنة التي تعرض لها هؤلاء هي عملية رفع المصاحف على رؤوس الرماح من قبل أهل الشام عندما رأى معاوية أن مسيرة المعركة ليست في صالحهم، بل شعروا بالخطر خطر الانهزام والموت فاستعملوا هذه الخدعة ونادى منادي أهل الشام: (يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم)[2]، فانخدع الخوارج بهذه العملية وهم - أي الخوارج - المعروفون بالقرّاء فكانوا «أول الدعاة إلى وقف القتال وأشد أهل المعسكر إصراراً على قبول التحكيم، وأكثر الناس عنفاً ضد رأي الإمام في متابعة القتال، ومضي الدعوة إلى التحكيم، وسرعان ما تبدّل رأي القرّاء بعد أن وُقعت وثيقة التحكيم فقد رأوا أنهم ارتكبوا خطأً كبيرا بايقاف القتال وتحكيم الرجال في دين الله ورأوا أن عليهم أن يعودوا إلى القتال فوراً دون انتظار ما يقوله الحكمان، ولعلهم رأوا وبعد تفكير أن حكم الله واضح، فمعاوية وأصحابه هم الفئة الباغية التي رفضت السلم ولجأت إلى الحرب؛ لحماية باطلها ولم تنزل هذه الفئة الباغية على حكم القرآن لأنها تخضع لحكمه، بل لأنها رأت أن هزيمتها محتمة... على أن هؤلاء المتشددين نسوا أنهم هم الذين تحدّوا سلطة الإمام ودفعوه مكرهًا إلى إيقاف القتال وقبول التحكيم والتوقيع على وثيقته،

(١) الحج: ١١.
(٢) وقعة صفين: ٤٨١.

وها هم الآن يحاولون حمله على نقض ميثاقٍ وقّعه وأشهد الله والناس على قبوله».[١]

فتسبّبوا في إيجاد مشكلة جديدة في وسط الأمة، وأصبحوا يمثلون خطّ التشدّد والإرهاب في تاريخ المسلمين، كلّ ذلك لأنهم لا يملكون بصيرةً ولا وعياً في دين الله تعالى، فهم مصداق الجاهل المتنسّك على حدّ القول الوارد عن أمير المؤمنين:

«**قصم ظهري اثنان، عالم متهتّك وجاهل متنسّك**».[٢]

وقد أخبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن حال هؤلاء قبل وجودهم كجماعة لهم فكرهم وتوجهاتهم المنحرفة، فقد وردت عنه عدة روايات في شأنهم وضلالهم، نذكر رواية واحدة: في صحيح البخاري عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحروريّة (الخوارج):

أسمعت النبي؟ قال: لا أدري ما الحروريّة، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**يخرج في هذه الأمة** – ولم يقل منها – **قومٌ تحقّرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**».[٣]

فيتّضح مما تقدّم كم هو الفرق شاسعٌ بين أهل البصائر و من يفتقدون البصيرة، فإن المتبصّر في دينه تامّ الإيمان من جميع جهاته، فكلما زاد البلاء واشتدّت المحنة يزداد ثباتًا كما قال تعالى: ﴿**وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**﴾[٤].

(١) أمير المؤمنين: ٣٩٠.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠/ ٢٨٤.
(٣) صحيح البخاري: ٦/ ٢٥٤٠.
(٤) الإحزاب: ٢٢.

فما أحوج الإنسان إلى البصيرة التي يستطيع من خلالها التمييز والفرز حينما تثور الشبهات من هنا وهناك بطريقة خادعة، وإنما سمّيت الشبهةُ شبهةً لأنها تشبه الحق في ظاهرها، وما هي إلا باطلٌ مغلّف بغلاف الحق، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«فلو أن الباطل خلُص من مزاج الحق لم يخفَ على المرتادين، ولو أن الحق خلُص من لبْس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى».[1]

في مثل هذه الحال التي يصوّرها أمير المؤمنين من الملابسات والشبهات التي يسبّبها المزج بين الحق والباطل، يحتاج الإنسان إلى قوةٍ في الإيمان والفكر، ونفاذٍ في البصيرة ليستطيع بذلك أن يميّز بين خيوط الحق وخيوط الباطل، فلا يستولي عليه الشيطان فيكون من أوليائه، ويطمئن على دينه ومصيره فيكون من الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ٥٠ .

أبو الفضل العباس عليه السلام والبصيرة:

من أهم الفضائل التي كان يتحلى بها قمر بني هاشم فضيلة البصيرة في الدين، بل تُعتبر هذه الفضيلة من أصول الفضائل التي تفرع عنها العديد من الفضائل النفسية والأخلاقية التي كان يتحلى بها أبو الفضل العباس.

ويكفيه في هذا الشأن شهادة الإمام المعصوم في حقه في أكثر من مورد ونشير إلى بعضها:

١- جاء في زيارته عليه السلام عن الإمام الصادق: «**وأشهد أنك لم تهِن ولم تنكُل وأنك مضيت على بصيرةٍ من أمرك مقتديًا بالصالحين ومتّبعًا للنبيّين**».

ومعنى (لم تهِن) يعني انك لم تُصب بالوهن والضعف في موقفك وقرارك، بل كنت أقوى من الضعف والوهن، وأصلب من المحنة التي واجهتها مع سيّد الشهداء عليه السلام.

ومعنى (لم تنكل) يعني انك لم تتراجع ولم تتردّد في الهدف الأعلى والغاية العظمى التي أردتها لنفسك، ثم تشير الزيارة إلى أن هذه القوة في الموقف والثبات في القرار منشؤهما البصيرة والوعي التام بما هو عليه، هذه البصيرة التي أثمرت في حياته عليه السلام مبدأ الاقتداء بالصالحين والإتّباع للنبيّين، وعلى رأس الصالحين الأئمة الطاهرون. حيث سار أبو الفضل على هداهم وسلك مسلكهم الإيماني والجهادي.

٢- وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**كان عمنا العباس بن علي نافذَ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاءً حسنًا ومضى شهيدًا**».[1]

---

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: ٣/ ١٨٤.

ومن الواضح هنا أن الإمام الصادق وصف أبا الفضل بأنه نافذ البصيرة ولم يقل أنه ذو بصيرة فقط بل ذو بصيرة نافذة عميقة؛ لأن مفهوم البصيرة من المفاهيم المشكِّكة ،يعني أنه معنى متفاوت شدة وضعفًا في الدرجة، فهي درجات ومراتب يصعدها درجةً درجة حتى ينتهي إلى أعلى درجة في الإيمان كما في الحديث:

«**الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم**».[1]

وهذا إنما يكون عن طريق المعرفة؛ لأن الإيمان يكون فطريّا مرة كإيمان الملائكة، ومكتسبًا أخرى كإيمان المكلفين من الإنس والجن، وجامعًا للوصفين كإيمان الأنبياء والأوصياء وهو أعلاها وأرفعها درجة، ثم للمعرفة من طريق الاكتساب والتحصيل طرق عديدة منها: التقليد المحض كإيمان العامّي، ومنها الاجتهاد المحض كإيمان العالم ،ومنها المركب من الاجتهاد والتقليد وأعلاها درجة الاجتهاد. ومن هنا نتصوّر درجات كثيرة.[2]

فعلى هذا فإن أبا الفضل كان يملك بصيرة نافذة، لا مطلق البصيرة إلى جانب الإيمان الصلب.

ويرجع ذلك إلى مستواه العلمي والمعرفي الذي استقاه من أساتذته المعصومين الثلاثة، وهم أبوه أمير المؤمنين وأخواه الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٦/ ١٦٢.

(٢) بطل العلقمي: ٢/ ٤١٣ .

فهو من كبار خريجي مدرسة العصمة، حيث وُلد في كنف هذه المدرسة ونشأ وترعرع وتكاملت شخصيته في رحاب المعصومين ورعايتهم، حتى صار من كبار العلماء والعرفاء، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن ولدي العباس قد زُقّ العلم زقًّا**».[١]

وقال العلماء بأن أبا الفضل بلغ درجة العصمة الصغرى الاكتسابية؛لأنهم قد قسّموا العصمة إلى كبرى وصغرى: فالعصمة الكبرى هي العصمة الذاتية الواجبة (التي جعلها الله في ذات الأنبياء وأوصيائهم وجبلهم عليها وخصّهم بها).

(وأما العصمة الصغرى العرَضيّة والمكتسبَة، فهي التي نالها أولياء الله المخلصون بجدّهم وجهدهم، وحصل عليها عباد الله الصالحون بتعبهم وعنائهم، وهم أولئك الذين عرفوا الله تعالى حقّ معرفته وأيقنوا به عين اليقين فأحبوه بكل وجودهم وكيانهم ولمسوه بقلوبهم وأرواحهم فآمنوا به أخلص الإيمان، وأذعنوا له غاية الإذعان وسلّموا له منتهى التسليم، وتوكلوا عليه أصدق التوكل... إنهم اطمأنوا إلى أنه تعالى طبيبهم فاتبعوا تعاليمه، وحكيمهم فانتهجوا حكمه، وربهم وخالقهم فعملوا برضاه واجتنبوا سخطه وغضبه، ورازقهم وهاديهم فأحبوه وأخلصوا له في حبه، وأحبوا من أمر الله تعالى بحبهم ومودتهم، وأبغضوا من أوجب الله تعالى بغضهم وعداوتهم، وأطاعوا من فرض الله تعالى طاعتهم، وخالفوا من أمر الله بمخالفتهم، ونصروا الله ودينه، وكانوا مع رسوله وأهل بيته فقدموهم على أنفسهم وبذلوا أرواحهم واستُشهدوا بين أيديهم).[٢]

(١) ثمرات الأعواد: ١/ ١٠٥، أسرار الشهادة: ٣٢٤ الطبعة الحجرية.
(٢) الخصائص العباسية: ٢٨٤-٢٨٥.

ومن أبرز من بلغ هذه الرتبة وهذا المقام الرفيع أبو الفضل العباس - عليه السلام - فقد منحته بصيرته النافذة وضوح الرؤية للأمور والحقائق والمواقف، فقد كان على درجة عالية من الوعي لشأن الإمامة والإمام، وماذا يعني الإئتمام بالمعصوم، ويعي تماماً أنّ مقام الإمام في الأمة كمقام الرسول - عليه السلام - وامتداد لوجوده ودوره، فإنّ المقام الذي يثبته الوحي للرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله - في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾.[1]

بمعنى أنّ له الحاكمية والولاية المطلقة عليهم، وأنه يملك من أمورهم ما لا يملكونه هم لأنفسهم، فإنّ هذا المقام وهذا الدور الثابت للرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله - هو ثابت للإمام من بعد الرسول - صلى الله عليه وآله - وهذا ما يعنيه الرسول من قوله يوم غدير خم، بعد أن قال صلى الله عليه وآله: «**ألستُ أولى بكم من أنفسكم**»؟. إشارة إلى مضمون الآية الكريمة السابقة.

فقالوا: بلى يا رسول، فقال صلى الله عليه وآله: «**ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه**».

يعني من كنت أولى به من نفسه وأملك من أمره ما لا يملك هو من نفسه فعلي كذلك أولى به من نفسه، فهذا الموقع الثابت لعلي يثبت للأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم.[2]

فكان أبو الفضل يعي هذه المسألة وعياً تاماً ويعيشها فكراً وإيماناً وعملاً ووجداناً، فكان عليه السلام لا يرى لنفسه وجوداً أمام وجود سيد الشهداء، فقد ذاب وجوده في وجود حجة الله ووليه، وهذا ما تعنيه عبارات الزيارة فيما يلي:

---

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) راجع في هذه المسألة كتاب المراجعات للسيد شرف الدين وموسوعة الغدير للشيخ الأميني ج١.

«وأشهدُ لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت فنعم عقبى الدار».

وهذه الأوسمة التي وضعها الإمام الصادق لأبي الفضل في هذا القسم من الزيارة كلها قد اتصلت جذورها بالفضيلة الأصل وهي فضيلة البصيرة النافذة، فلو لم يكن العباس عليه السلام نافذ البصيرة في شأن سيد الشهداء عليه السلام لم يسلم أمره إليه تسليماً مطلقاً، ولما ذابت شخصيته في وجود الإمام، فهذا التسليم أثر من آثار تلك البصيرة النافذة.

وكذلك التصديق لعلمه أنّ إرادة الإمام تمثل إرادة الله في الأرض، وأوامره ونواهيه هي بذاتها أوامر الله ونواهيه، فإنّ معنى التصديق هنا ليس فقط الإيمان بصدق الإمام فيما يقول ويفعل، إذ من الواضح أنّه قد يكون غير الإمام أيضاً صادقاً فيما يقول، ويفعل وهنا تأتينا صفة الصدّيقين وهم الذين ليس في وجودهم إلا الصدق والحق ومطابقة الواقع في الفكر والعلم والنفس والمشاعر والفعل والقول، فتصديق أبي الفضل للإمام ليس كالتصديق لأي إنسان صادق آخر بل هو تصديق للإمام المعصوم في إمامته وحاكميته وحكمته وعصمته وولايته المطلقة على العباد .

أبو الفضل العباس عليه السلام والبصيرة

للشاعر محمد مرهون:[١]

مُـــذْ بـــلَّ نهـــرُ العلقمـــيّ لســـانَه ... مـــن راحتيْـــكَ وهبتَـــهُ جريانَـــهُ

وخَلَبْـتَ لـبّ الرمـلِ فـاعتنق الـــــــظّما ... دِينًـــا، وكنـــتَ لثغـــره قرآنَـــهُ

ومَشَـيْتَ تغبُطُـكَ الكرامـةُ والهـدى ... حـــراً ينـــاجزُ في المـــدى عُدوانَـــهُ

خَطَواتُـك الأسْـمى مواكـبُ أنجـمٍ ... إذ كنـتَ بـدراً قـد أضـاء زمانَـهُ

مـن ذا ينازِعـكَ الوفـاءُ وأنـت مـن ... مـــنحَ الوفـــاءَ مجـــدّلاً ذُرعانَـــهُ

يـا سيدي، وأنـا الـذي هجرَ الكـرى ... والشـوقُ طـرّزَ بالقـذى أجفانَـهُ

هـــل لي بكفِّـــك أســـتعيدُ بصـــيرتي ... شمسًـــا تحطّـــم للـــدُّجى حيطانَـــهُ

قـد أطبـق الليـلُ المخيـفُ عـلى فمـي ... وبقيـــتُ أجـــرَعُ نادبـــاً أشـــجانَهُ

قلبـي يَحِـنُّ إلى ضريحِـك والهـوى ... جمـــرٌ يحـــرّضُ داخـــلي نيرانَـــهُ

في كـلِّ عـامٍ أرتجـي رَبَّ الـورى: ... يـــا ربِّ فـــاكتبني أزورُ جِنانَـــهُ

يـــا ربِّ واجعلنـــي أُقَبِّـــلُ تُربَـــةً ... حَمَلَـــتْ بكـــلّ قداســـةٍ جثمانَـــهُ

---

(١) محمد منصور مرهون، مواليد ٢٢، كانون الاول ١٩٨٨م – البحرين ، بكالوريوس آداب اللغة الإنجليزية، معلم لغة إنجليزية.

إن كـــان يصـــعُبُ أن أزورَ مقامَـــهُ فلتأخـــذوا مـــن خـــافقي شِرْيَانَـــهُ

ولْتسـكبوا منـه الـدماءَ عـلى ثـراهُ فإنهـــا كانـــت لـــه قُربانَـــهُ

يـا قِبلَـةَ العشـاقِ طـافَ بقُدسِـهِ فـوجٌ مـن الأمـلاك يعـرف شـأنَهُ

مـن يعـرفُ العبـاسَ يعـرف موقنـاً: كـــان الحســـين بقلبِـــهِ خفقانَـــهُ

الوفاء والنصيحة عند أبي الفضل:

ومن ثمار وآثار البصيرة عند أبي الفضل عليه السلام الوفاء والنصيحة، أما الوفاء فمعناه: هو التمام والإتمام، فالوفاء بالشيء إتمامه وهذا هو نفس المعنى في الاصطلاح الشرعي أيضاً.

فإنّ (جميع أفعال العباس بن علي يوم الغاضرية وفاءٌ بحق الطاعة المأخوذة في الميثاق على البشر والوفاء برعاية حق الإمام - عليه السلام - والوفاء بالبيعة له والوفاء بالوعد بالنصرة والوفاء برعاية حق الصحبة والجوار إلى غير ذلك من أنواع الوفاء المحمود الذي أدّاه أبو الفضل).[1]

وأمّا النصيحة فهي في أصل اللغة الخلوص. يقال نصحتُه ونصحتُ له. فهي مأخوذ فيها خلوص النية والقصد في بذل النصح للمنصوح له في القول والعمل، والنصيحة تجب لعامة المسلمين إعانةً وإرشاداً بحقٍ وإلى حق كما يحرُم نقيضها وهو الغش، لقوله صلى الله عليه وآله: «**من غشّنا فليس منا**».[2]

(١) بطل العلقمي: ٢/ ٢٥٨.

(٢) دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، لابن حيون: ٢/ ٢٨.

يعني المسلمين وإن كانت النصيحة للمعصوم كالنبي والإمام كانت أعظم في الوجوب درجة وأبلغ تأكيداً.

ومن هذا النوع مناصحة أبي الفضل للإمام سيد الشهداء عليه السلام وهذا ما نقرؤه في الزيارة، فبعد وصف أبي الفضل بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة أضافت الزيارة مُبَيِّنةً في حق هذا الموقف العظيم من هذا الرجل العظيم:

«... والنصيحة لخَلَف النبي المرسل، والسبط المنتجب والوصي المبلّغ والمظلوم المهتَضَم».

ومن الواضح أن المقصود بهذه الأوصاف هو الإمام الحسين عليه السلام، فكأن الزيارة تريد أن تقول: إن أبا الفضل إنما كانت منه هذه المواقف من التفاني والإخلاص تجاه سيد الشهداء عليه السلام؛ لأنه هو الإمام المعصوم الذي يمثل الامتداد الطبيعي للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ ولأنه خليفته وسبطه الذي انتجبه الله واصطفاه، ولأنه أحد الأوصياء للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ ولأنه الولي المظلوم الذي وقع عليه الظلم من قبل طواغيت الأمة في عصره.

لهذه المبادئ التي تمثّل روح الرسالة الإلهية متجسدة في شخصية سيد الشهداء عليه السلام، رأى أبو الفضل العباس حتمية الموقف والدفاع والتضحية بالنفس والنفيس، وقد عبّر قمر بني هاشم عن رؤيته هذه بالرَجز المنسوب إليه يوم الطف:

والله إن قطعتمُ يميني إني أحامي أبدًا عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمينِ[1]

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ٣/ ١٩٢.

وإن تضحية أبي الفضل بين يدي الإمام الحسين عليه السلام، هي تضحية بين يدي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبين يدي أمير المؤمنين والإمام الحسن ، وهذا ما توحي به عبارات الزيارة:

«...فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم، أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت فنعم عقبى الدار ».

لأن هؤلاء يمثلون نورًا واحدًا وكيانًا واحدًا وحقيقة واحدة .

لأجل ذلك كله استحقّ أبو الفضل أرفع درجات الجزاء والعطاء الإلهي، كما نقرأ ذلك في الزيارة عند الدخول إلى الحرم:

«...فجزاك الله أفضل الجزاء وأوفر الجزاء وأكثر الجزاء وأوفى جزاء أحدٍ ممن وفى ببيعته واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره ».

وفي مكان آخر من الزيارة:

« ....وأشهد أنك بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلا وأفضلها غرفًا ورفع ذكرك في عليّين وحشرك مع النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقًا ».

وهذه الإشارات من الزيارة إلى تلك المقامات العالية والدرجات الرفيعة إما أن تكون من باب الدعاء من الإمام وسائر الزائرين في حق أبي الفضل بأن الله تعالى يجازيه على وفائه بأفضل الجزاء وأوفر الجزاء وأكثر الجزاء وأوفى ما يُجازي أهل الوفاء على وفائهم لربهم ونبيّهم وأئمتهم.

أو تكون من باب الإخبار والكشف عمّا أعدّ الله لهذا الشهيد الوفي من أنواع الجزاء في جوار ربه تعالى: ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾.[1]

(١) القمر: ٥٥.

المواساة والإيثار عند أبي الفضل

المواساة:

المواساة هي مساواة الغير بالنفس في جهة من جهات الحياة، ولها مجالات عديدة، منها: المواساة في المال، كمواساة الإخوان والأصدقاء والمستحقين بالمال. ومنها المواساة بالبدن، كنصرة المرء صاحبَه للدفاع عنه في مواطن الحاجة إلى الدفاع. ومنها في مجال الكلام، بالدفاع عمن له حق الدفاع عنه باللسان.

والمواساة من أفضل وأكمل مكارم الأخلاق وأصعبها على النفس فلا يتحلى بها إلا ذوو القلوب الكبيرة والنفوس الكاملة.

في الكافي: عن الحسن البزاز قال: قال لي أبو عبد الله: «**ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه؟ قلت: بلى.**

قال: إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك أخاك، وذكر الله في كل موطن، أما إنّي لا أقول، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعة أو معصية».[1]

وإنما صارت هذه الأمور أهم ما فرض الله؛ لأنها تتناقض مع الأنا وحب الذات والتمحور حولها، والذكر لله تعالى على كل حال يناقض الغرائز وميول النفس واندفاعها إلى إشباع رغباتها فيحتاج الإنسان إلى صلابة في الإيمان، وقوة في الإرادة؛ ليخرج من دائرة الأنا والتمحور حول الذات، أو الاستجابة لدوافع هوى النفس وغرائزها إلى دائرة ذكر الله، ومراعاة أوامره ونواهيه والتفكير في الغير، فيعيش روح العطاء ومواساة الآخرين في السراء والضراء، والشدة والرخاء.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٥٨.

والمواساة من أبرز الفضائل التي كان يتحلى بها قمر بني هاشم عليه السلام، وهي كبقية الفضائل الأخرى عند أبي الفضل تعتبر ثمرةً ونتيجةً طبيعية للفضيلة الأم، وهي فضيلة الوعي والبصيرة النافذة في الدين والعقيدة.

وقد كانت مواساة العباس لأخيه الحسين بثلاثة اشكال من المواساة: بالنفس، والمال، والكلام. فإنّ احتجاجه على أهل الكوفة معروف شعراً ونثراً، وقد نقله أهل المقاتل والتواريخ، فكانت مواساته له ديانةً وتقوى لم يرد بذلك إلا وجه الله تعالى، وصلة رسوله محمد صلى الله عليه وآله، وصلة الرحم، لم يرد ذكراً ولا فخراً، ولكن الله تعالى إذا علم من شخصٍ حسن نية وإخلاصاً نَشَرَ فضائله وسيّر ذكره في الخافقين، وقد مدحَ العباسَ بن علي بهذه المواساة أئمة أهل البيت عليهم السلام. قال الإمام الصادق عليه السلام في زيارته لأبي الفضل عليه السلام: «**أشهدُ لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخُ المواسي لأخيه**».

وجاء في زيارة الناحية عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: «**سلامٌ على أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له والواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يده**».

لقد شارك أبو الفضل أخاهُ أبا عبد الله الحسين عليه السلام قبل الاستشهاد وواساه في كل الأحداث التي حدثت في ذلك اليوم، من فقد الأصحاب والهاشميين وسائر التحديات؛ لأن العباس عليه السلام كان آخر من استُشهد من الرجال ممن حول الحسين عليه السلام، فكان إلى جانبه ورهن إشارته حتى لحظات الشهادة.

الإيثار:

الإيثار لغةً: تقديم الغير على النفس.

وهو على قسمين، أو مرتبتين:

المرتبة الأولى: الإيثار للغير على النفس، بما هو - أعني المؤثر - في حاجة ماسّة إلى ما آثره به، كما مدح الله تعالى فئة من عباده في قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾.[1]

وهذا الثناء من الله تعالى جاء في سياق حديث القرآن الكريم عن جماعة الأنصار من الأوس والخزرج، وما يتمتعون به من الصفات الإيمانية والإنسانية النادرة في قوله تعالى:

﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.[2]

بهذه الصورة الإيمانية الرائعة التي رسمها القرآن لهؤلاء المعنيين بهذا المدح والثناء، وما يتحلون به من سمات نادرة من محبتهم للغير وعدم الطمع والإيثار، كانت هذه السمات تشكل خصائص الأنصار الممدوحين، حيث أنهم آثروا المهاجرين على أنفسهم بشؤون الحياة من المال، وتهيئة الأجواء الاجتماعية واستقبالهم للمهاجرين ذلك الاستقبال الرائع، مع أنهم كانوا يعيشون الخصاصة، وهي الفقر والحاجة الشديدات.

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) الحشر: ٩.

وقد ورد في بعض الروايات تفسير الآية في حق أهل البيت، أمير المؤمنين والصديقة الزهراء والحسنين عليهم السلام لما أطعموا أحد الفقراء الجياع فآثروه بقُوتِهم الذي لا يملكون سواه.

وتفسير الآية فيهم عليهم السلام لا يتعارض مع نزول الآية في حق فئة من الأنصار؛ لأن هذا التفسير من باب تطبيقها على بعض المصاديق، بل على أفضل وأوضح المصاديق، وعلى حسب تفسير صاحب الميزان هو من باب الجري والتطبيق.

وقالوا: مراتب العطاء ثلاث:سخاء، وجود، وإيثار.

فالسخاء: إعطاء الأقل وإمساك الأكثر.

والجود: إعطاء الأكثر وإمساك الأقل.

والإيثار: إعطاء الكل من غير إمساكٍ لشيء، وهذا أشرف المراتب، فهذا على مستوى الإيثار على النفس.

وأما الإيثار بالنفس: فهو بذل الإنسان نفسه في سبيل الدفاع عمن آثره بنفسه، وتقديم حياة الآخر على حياته، وسيد المؤثرين بأنفسهم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه آثر رسول الله صلى الله عليه وآله بحياته وفداه بنفسه، وإيثاره أفضل من كل إيثار في الدنيا؛ لأن أمير المؤمنين باهى الله به ملائكته وأنزل فيه قرآنًا يُتلى في المحاريب، قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.[1]

(١) البقرة: ٢٠٧.

وقصة مبيت أمير المؤمنين على فراش رسول الله ليلة الهجرة مشهورة عند علماء التاريخ.. وبات علي على فراش رسول الله يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل:

إني قد آخيت بينكما وجعلت عُمرَ أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كلاهما الحياة وأحبّاها، فأوحى إليهما:

أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيّي محمد، فبات على فراشه يقيه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول:

(بخٍ بخٍ مَن مثلك يا بن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة؟، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.[1])[2].

فأمير المؤمنين عليه السلام هو سيد المؤثرين على أنفسهم، والمؤثرين بأنفسهم، وقد ورِث منه أولاده هذه الفضائل والمكارم، فكانوا امتدادًا لفضائله ومكارمه ومواقفه، وعلى رأسهم بعد الإمامين الحسن والحسين نجله أبو الفضل العباس، فقد كان من أهل الإيثار على النفس والإيثار بالنفس، آثر أخاه سيد الشهداء على نفسه، وآثره بنفسه وحياته.

وقد تعرّض أبو الفضل يوم الطف إلى موقف امتحاني، حيث تعرّض إلى الإغراء وذلك عندما عُرض عليه الأمان هو وإخوته الثلاثة؛ لأن الطرف

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزال.

المعادي يعرف مكانة أبي الفضل عند أخيه سيد الشهداء عليه السلام، وموقعه القيادي في ذلك المعسكر، فقد كان العباس عليه السلام يُمثّل القيادة العسكرية بعد القيادة العامة للإمام ،فكانت محاولةً يائسة من أجل أن يفصلوا بين العباس وأخيه الحسين ، وفي ذلك إضعاف لجانب سيد الشهداء عليه السلام ، إلا أن هذا القائد الحسيني أرفع من الإغراء بالأمان والحياة؛ لأنه عليه السلام يؤمن أن الحياة لها قيمة وقداسة إذا كانت ميدانًا لتحقيق الأهداف الإلهية الكبرى التي خُلق الإنسان من أجلها، وكُلّف بتحقيقها على وجه الأرض، أما إذا كانت الحياة على حساب هذه الأهداف وهذه المبادئ فإنها لا تستحق أن يطمع فيها إنسان يحمل كرامةً إنسانية، فيكون الموت في سبيل الدفاع عن تلك القيم والمبادئ الإلهية العليا أسمى من الحياة وأرفع.

«ورد كتاب عبيد الله بن زياد على عمر بن سعد يحثّه على تعجيل القتال ويحذّره من التأخير والإمهال، فركبوا نحو الحسين عليه السلام، وأقبل شمر بن ذي الجوشن ونادى: أين بنو أختي عبد الله وجعفر وعباس وعثمان وإنما كان من أخوالهم؛ لأنه من بني كلاب الأسرة التي تنتسب إليها أمهم أم البنين رضوان الله عليها، فقال الحسين: أجيبوه ولو كان فاسقًا، فإنه بعض أخوالكم، فقالوا له: ما شأنك؟

فقال: يا بني أختي أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد، فقال له العباس بن علي: تبّت يداك وبئس ما جئت به من أمانك يا عدو الله، أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن علي، ابن فاطمة وندخل في طاعة اللعناء وأبناء اللعناء، فرجع الشمر إلى معسكره مغضبًا».[1]

(١) اللهوف، السيد ابن طاووس: ٧٧.

وفي ذلك اليوم المشهود برزت الملَكَات التي كانت ملازمة لذات أبي الفضل من المواساة لسيد الشهداءعليه السلام، وإيثاره له على نفسه وبنفسه.

أما إيثاره له على نفسه فواضح من مواقفه يوم الطف، وكانت قمة الإيثار على النفس والمواساة من أبي الفضل العباس، عندما ملك المشرعة ونزل إلى الماء وهو في غاية العطش والظمأ، وغرَف غَرفةً ليشرب عند ذلك تذكّر عطش الإمام وعائلته، فرمى الماء من يده وقال: لا ذُقتُ الماء وابن رسول الله عطشان، وأنشد:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنتِ أن تكوني

هذا حسين وارد المنون وتشربين بارد المعينِ

هيهات ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقينِ[1]

فواضح من هذا الكلام أنهعليه السلام لم يتخذ هذا الموقف وهذا القرار انطلاقًا من عاطفة مجردة، أو من جاذبية الرحم، وإنما انطلاقًا من قاعدة إيمانه ويقينه وبصيرته النافذة؛ رغبة فيما عند الله تعالى.

وأما إيثاره أخاه بنفسه يتمثل في تضحيته بنفسه بين يدي أبي عبد الله الحسينعليه السلام، وقد أبلى بلاءً حسنًا في ميدان الجهاد حتى استشهد، ولحقت روحه المقدسة بالرفيق الأعلى، كما نزوره في زيارتهعليه السلام:

«...فنعم الصابر المجاهد ،المحامي الناصر، والأخ الدافع عن أخيه، المجيب إلى طاعة ربه، الراغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل، وألحقك الله بدرجة آبائك في جنات النعيم».

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام هامش: ٣/ ١٩٢.

الإيثار

للشاعر جاسم الصحيح: [١]

وَقَفْتَ على شطّ الفراتِ مُعَلّمًا ... وسَطَرْتَ ناموسَ الأخوةِ بالظّما

وعُدتَ وفي عينيكَ حطّتْ قبيلةٌ ... من الشّرَفِ العالي فكنتَ لها حِمى

كأنك لم تحمِل من الماءِ قِربةً ... ولم تنعقدْ زندًا عليها ومِعْصَمَا

ولكن حملتَ النهرَ من مُسْتَقَرّه ... وأقبلتَ في أمواجِهِ ثائرَ الدِّما

وما عُدْتَ تزهو بالحديدِ مُحَزّمًا ... وعدْتَ بدستورِ الوفاءِ مُحَزَّماً

مَشَيْتَ كما تمشي القصيدةُ في الهوى ... مجازًا شجيًّا أو بديعًا مُتَيّما

حسامُكَ أهدى الأبجديّةَ حَدَّهُ ... وباللغةِ الفُصْحى جَوَادُكَ كَمْحَمَا

هنا فارسٌ، سيفٌ، حصانٌ وقصةٌ ... رواها لسانُ الرّيحِ حتّى تَلَعْثَمَا

هنا أنتَ تغتالُ المسافةَ عابِرًا ... من النهرِ أو بالنهرِ تنوي المُخَيّما

هنا رُحْتَ تخْتَطّ المنايا قصائدًا ... وتَكْسُو قوافيهِنّ لُحْمًا وأعْظُمَا

هنا القربةُ الحُبلى أراقوا جنينَها ... من الماء، فاغتالوكَ وَرْدًا ومُوسِمَا

---

(١) جاسم محمد الصحيح مواليد ١٢\٤\١٣٨٤ هـ، بكالوريوس هندسة ميكانيكية جامعة بورتلاند، أوريغون، الولايات المتحدة الأمريكية، له مجموعة من الدواوين الشعرية منها (ظِلِّي خليفتي عليكم، رقصة عرفانية، أعشاش الملائكة، وألنَّا له القصيد) حصل على عدد من الجوائز في عدد من المناسبات، وله مشاركات شعرية في عديد من المناسبات.

هنا دمُكَ المُمْتَدّ مِن وجعِ الثرى ... إلى نجمةِ الحبِّ الأخيرةِ في السَّمَا

ذِراعاكَ مَنْهوبانِ إلّا عَزيمةً ... تَمُدُّ ذِراعَيْها إلى الله سُلّمَا

ذراعانِ ما زالا على كلّ مَوْقِفٍ ... يفيضانِ في مَجْرى الضّمَائِرِ زَمْزَما

أبا الفضلِ، وارتدّ الصّدَى مِثْلما الندى ... رقيقا كأنّ الماءَ باسمِكَ تَمْتَمَا

هنا روحُكَ انصبّت فُرَاتًا ودِجْلَةً ... وأهدَتْكَ للدنيا عِرَاقًا مُعَظّمَا

وجُرْحُكَ مِن فَرْطِ القداسةِ لم يَزَلْ ... على هامةِ التاريخِ جُرْحًا مُعَمَّمَا

وكلُّ ذِرَاعٍ مِن ذِرَاعَيْكَ كَوْكَبٌ ... تَجَلّى ليمحو عَنْ سماواتِنا العمى

أتيْتُكَ للسُّقْيَا وهذا أوانُها ... فقد عادَتْ الذِكرى تَهُزّ المُحَرَّمَا

تَدَلّى على جَفْنَيَّ غَيْمٌ مِن الأسى ... وألفاكَ عُنوانَ الإباءِ فما هَمَى

ذِرَاعَايَ لوْ كانتْ تَلِيقُ بِضَيْغَمٍ ... لما خِلْتُها تختارُ غيرَك ضَيْغَمَا

أتيتُكَ للسّقْيَا ففي القلبِ صَارِمٌ ... مِن العَطَشِ المَسْلولِ جَمْرًا وعَلقَمَا

وثمَّةَ أطفالٌ عُطاشى بِداخِلي ... تناديكَ ياعمّاهُ من خَيْمَةِ الظّمَا

فهَبْنِي بَيَانًا يَسْتَعِيدُكَ مُعْجَمًا ... من الشِّيَمِ الكُبرى، ويَجْلُوكَ مَنْجَمَا

فيا طالَما اشتاقتْ مَدائنُ خاطري ... تُوَشِّي مَدَاها مِن معانيكَ أنْجُمَا

ولكنْ تَخَطّفْتَ العبارَةَ من فمي ... وعدتَ وهذا أنتَ تختَطِفُ الفَمَا

كأنيَ في نَجْواكَ من فَرْطِ خَشْعَتِي ... أُقيمُ لِنَفْسِي في رِحَابِكَ مأتمَا

الفصل الخامس

أبو الفضل العباس عليه السلام
في
طريق ذات الشوكة

النص:

«...أَشهدُ وأشهِدُ اللهَ أنك مضيت على ما مضى. عليه البدريون، والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه الذابّون عن أحبائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحدٍ ممن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره».

الجهاد في الإسلام:

الجهاد من أهم الفرائض والواجبات الكفائية التي فرضها الله تعالى في شريعة الإسلام، ولم يشرِّع الإسلام الجهاد حباً بالحرب وسفك الدماء كما يدّعي أعداؤه، وإنما فتح باب الجهاد من أجل تحقيق الأهداف الإلهية على وجه الأرض، وأهم تلك الأهداف، تحرير عقل الإنسان من الانحرافات والخرافات، وتطهير نفسه بالأخلاق الكريمة، وفتح الآفاق الفكرية أمامه وإخراجه من ظلمات الجهل والتحجّر وبناء حياته على أساسٍ من القيم الإلهية، فيحرره من كل أنواع العبودية لغير خالقه تعالى، فمن الطبيعي - والحال هذه - أن يواجه الإسلام العقبات في طريق تحقيق هذا الهدف من قبل طواغيت الأرض، والمستكبرين الذين يعيشون الاستكبار والترف والنعيم على حساب حياة الشعوب المستضعفة وكرامتها فلا بد من رفع هذه الموانع والعقبات، وتبديد هذه الظلمات؛ ليصل النور إلى عقل الإنسان وقلبه، وليعيش الحياة التي تليق بإنسانيته وكرامته، لهذا الهدف شرّع الإسلام الجهاد ولأجل الحفاظ على المكاسب التي يحققها في هذا الطريق.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**أما بعد: فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجُنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء ودُيّث بالصغار والقماءة، وضُرب على قلبه بالأسداد وأُديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومُنع النصَف**».[1]

ومن الطبيعي أن يكون هذا الطريق صعبًا وشاقًّا وثقيلًا على النفس البشرية؛ لأن النفس بطبعها متعلقة بالحياة الدنيا تعلّقًا شديدًا، وطريق الجهاد يهدد هذه العلاقة بالانفصال. فلا يمكن للإنسان أن يكون على مستوى التضحية في سبيل الله، إلا إذا كان قد قطع جميع العلائق والروابط التي تشدّه إلى الحياة. وأجمل تعبير عن هذا الإنشداد هو قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.[2]

وهذا الإنشداد إلى الحياة الدنيا بسبب ضغط عاملين، هما:

أ – الشهوات والغرائز والأهواء والميول النفسية، وهذا النوع يكمن داخل النفس ويصطلح عليها القرآن (بالهوى).

ب – المغريات والمثيرات التي تحرك الشهوات والغرائز في نفس الإنسان، كالابناء، والنساء، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ويصطلح القرآن عليه (بالفتنة).

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ٦٧ .

(٢) التوبة: ٣٨ .

وبين هذا العامل وذاك يعمل إبليس اللعين وجنوده من شياطين الجن والإنس، الذين يقومون بدور الوساطة بين (الأهواء) و(الفتن) على تحريك الشهوات في نفس الإنسان بالمغريات والمثيرات، وجذب الشهوات إلى هذه المثيرات، والإنسان في نقطة (المنطلق) هذه يقع تحت تأثير العوامل الثلاثة التي تضغط عليه وتحدد حركته وتقيّده عن الانطلاق والصعود.[١]

فيحتاج الإنسان من أجل الخروج من هذا المثلث المهلك (الهوى، والفتنة، والشيطان) إلى قوة في الإيمان والإرادة، وإن هذا التخلص من أصعب وأشقّ ما يواجهه الإنسان في حياته، ولا يوفق لذلك إلا الأوحديّون من الناس، وهم الذين استطاعوا أن ينتصروا في ساحة صراع عالم النفس أولًا.

وهذا ما أطلق عليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عنوان الجهاد الأكبر، بينما أُطلق على الجهاد المسلّح ومواجهة العدو الخارجي - خارج النفس - عنوان الجهاد الأصغر.

عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله بعث بسريّة، فلما رجعوا قال: «**مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر**».

قيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: «**جهاد النفس**».[٢]

ومن أفضل من وصل إلى هذه الرتبة شهداء الطف، الذين أصبحوا المثل الأعلى للأجيال في الزهد الكامل في الدنيا، وقطع الأسباب التي تشدهم إليها، والإقبال على الله والآخرة، وما أعد الله للمجاهدين والمضحين في سبيله، من

(١) في رحاب عاشوراء: ٤٧.

(٢) الكافي: ٥/ ١٢.

المراتب العالية والنعيم المقيم، فكان ارتباطهم بالآخرة أشد وأقوى من ارتباط أهل الدنيا بالدنيا، وهم يعيشون الانشداد والإقبال على ما عند الله جَلَّ شأنه، مع أنهم قد حصلت لهم الفرصة في التخلص من تبعات الموقف، والإبقاء على حياتهم، وذلك عندما أذِن لهم سيدهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام في الليلة العاشرة من محرم، ومن جملة ما جاء في خطابه عليه السلام:

«**أما بعد: فإني لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبّر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعًا خيرًا. ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدًا، ألا وإني قد أذِنت لكم فانطلقوا جميعًا في حلٍّ، ليس عليكم مني ذُمام. هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جَمَلًا**».

وفي رواية قال: «**هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني لَهَوْا عن طلب غيري**».

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل؟؛ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبدًا.

بدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه.[1]

وفي رواية للإمام علي بن الحسين جاء فيها:

لما أمرهم الإمام بالانصراف فأبوا قال: «**إنكم تُقتلون غدًا كذلك، لا يفلت منكم رجل. قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك**».

---

(١) الركب الحسيني: ٤/ ١٣٣-١٣٤ .

ثم دعا وقال لهم: «**ارفعوا رؤوسكم وانظروا**». فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة وهو يقول لهم:

«هذا منزلك يا فلان وهذا قصرك يا فلان وهذه درجتك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة».[1]

وجميل قول الشاعر:

إذا كنت تهوى القوم فاسلك طريقهم فما بلغوا إلا بقطع العلائق

وما حُمِل الهندي وهو حديدةٌ على الكِتف إلا بعد دق المطارق

ولا شك أن هذه الصفوة لم تصل إلى هذا المستوى، إلا بعد أن تجاوزوا المرحلة السابقة، أعني قطع كل العلائق التي تشدهم إلى الدنيا، أنقذوا أنفسهم من دائرة حب الدنيا والتعلق بها إلى دائرة حب الله والشوق إلى لقائه، وعلى رأس هذه الصفوة أبو الفضل العباس الذي لم يكن يفكر في شيءٍ اسمه الدنيا، بل كان يحمل هدفًا أسمى وأبعد وهو الهدف الذي حمله المجاهدون في سبيل الله من قبله، وهو إعلاء كلمة الله في الأرض. كما نقرأ في زيارته عليه السلام:

« ..أَشهدُ وأُشهِد الله أنك مضيت على ما مضى عليه البدريون المجاهدون في سبيل الله المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه الذابّون عن أحبائه ».

«...أَشهدُ وأُشهِد الله أنك مضيت على ما مضى عليه البدريون المجاهدون في سبيل الله المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه الذابّون عن أحبائه».

(١) الركب الحسيني: ٤/ ١٣٤ .

«..أَشهدُ وأُشهِد الله أنك مضيت على ما مضى عليه البدريون المجاهدون في سبيل الله المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه الذابّون عن أحبائه».

يوم بدر والبدريون:

تعتبر واقعة بدر هي أول حرب خاضها المسلمون في تاريخ الإسلام بقيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وكان الصراع العسكري في تلك الحرب على خلاف الموازين العسكرية العادية، ما بين طرفي الصراع حيث لم يكونا متكافئين من حيث العدة والعدد، وقد كان عدد المسلمين في ذلك اليوم ثلاث مئةٍ أو يزيدون قليلًا، ولا يملكون إلا القليل من السيوف والخيل والإبل، بينما كان عدد المشركين يزيد على ألف مقاتل ويحملون السيوف والرماح ويركبون الخيل والإبل، إلا أن الله تعالى قد نصر تلك الفئة القليلة على عدوها، وقد أطلق القرآن الكريم على ذلك اليوم (يوم الفرقان)في قوله تعالى: ﴿...**إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِّ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.(١)

لأن الصراع في ذلك اليوم في حقيقته لم يكن صراعًا بين معسكرين محدودين، بل بين حضارتين وتوجهين، فهو صراع بين الوثنية والتوحيد.

صحيحٌ أنّ الذين وقفوا مع رسول الله في بدر ثلاث مائة أو يزيدون وأنّ الذين وقفوا إلى جانب قريش لقتال رسول الله – صلى الله عليه وآله – ألفٌ أو يزيدون قليلاً، إلّا أن هذه المواجهة كانت أعمق وأوسع مما يتراءى لنا لأول مرّة من خلال التاريخ في وادي بدر في السنة الثانية من الهجرة.

(١) الأنفال: ٤١.

لقد كان يقف وراء المشركين من قريش في بدر جبهةٌ عريضة من الشرك في الجزيرة وخارجها.

وتصاعد الأحداث بعد هذا اليوم أثبت هذه الحقيقة، ولقد وقف رسول الله بهذه الثلة الصغيرة، أمام جبهة الشرك العريضة.

فيوم بدر إذاً فرّق الناس إلى شطرين في الولاء: شطرٌ قوامه ثلاث مئة وخمسة مقاتلين. وشطر قوامه جبهة الشرك العريضة، وبكل إمكاناتها الواسعة، فهو يوم الفرقان الأول حقاً في تاريخ الإسلام.

إنّ النظرة الساذجة الأولى لساحة بدر في السنة الثانية من الهجرة، لا تلتقي إلّا بهذين الجمعين الصغيرين المتقاتلين، ولكن النظرة العميقة والممعنة تلتقي في هذه الساحة بحضارتين وعقيدتين تتصارعان على البقاء في جبهات واسعة، وليس مع ألف من المقاتلين. ولم يكن يوم بدر يوم الفرقان الذي يشطر الناس في الولاء والبراءة إلى شطرين في السنة الثانية من الهجرة فقط، وإنما يظل هذا اليوم يوم فرقان في تاريخ الإسلام، إلى أن يأذن الله بنهاية الحياة.[1]

والجدير بالذكر أن محور المعركة يوم بدر يتمثل في أمير المؤمنين عليه السلام تحت قيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فحينما بدأ الهجوم ساهم المئات من الأصحاب في القتال، وأبلوا بلاءً حسنًا، وأرضوا الله تعالى ورسوله، وكان رسول الله أكثرهم جهادًا وأمضاهم عزمًا وأشدهم إيقاعًا بالعدو. لقد تفجرت بطولات علي في هذه المعركة... والجدير بالملاحظة أن دورعلي العسكري في الميدان لم يشغله عن الاهتمام بالرسول للاطمئنان على حياته، فقد جاء عنه عليه السلام أنه قال:

(١) في رحاب عاشوراء: ٢٥٠-٢٥١ .

«لما كان صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل، قال: فجئت فإذا هو ساجد يقول: يا حيُّ يا قيّوم، يا حيُّ يا قيّوم لا يزيد عليها، ورجعتُ إلى القتال ثم جئتُ وهو ساجد يقول ذلك حتى فتح الله عليه»[١] وكانت نتيجة المعركة أن قُتِل من المشركين سبعون، وأُسِر سبعون.

وقد كان أكثر من نصف القتلى بسيف علي عليه السلام، نعم في هذه المعركة التي أرست قواعد الدولة الإسلامية، وجعلت من المسلمين قوة قائمة يُحسب لها حسابها في شبه الجزيرة، قام المئات من أصحاب الرسول رضوان الله عليهم بشطر من مجهود المعركة، وقام علي عليه السلام بشطره الباقي بمفرده.

ومن الحق أن نقول: أنَّ مجهوده كان عاملًا مهما في إيصال المعركة إلى نتيجتها الرائعة، في حين أن لو أسقطنا في حسابنا مجهود أي صحابي آخر بمفرده، لما تغير سير المعركة[٢]، بينما لو لم تحتسب دور أمير المؤمنين من الحساب نقطع أنه ليس في الأصحاب من يكون بديلًا عنه في سير المعركة لتعطي هذه النتائج.

وقبل استُشهِد من المسلمين يوم بدر تسعة، وقيل أحد عشر وقيل أربعة عشر، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وعلى رأس شهداء بدر عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فمن هذا المنطلق اكتسب ذلك اليوم وذلك الموقف أهميته من بين سائر أيام الله في تاريخ الدعوة، وتميّز المجاهدون والشهداء في تلك الساحة على سائر الشهداء والمهاجرين ممن قبلهم في التاريخ، لأنهم رسموا للمجاهدين طريق الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى، وكان الانتصار الذي حققه المجاهدون يوم ذاك هو القاعدة والمنطلق لكل الانتصارات التي حققها الإسلام والمسلمون في تاريخ الإسلام.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ٥/ ٣٣٤ .

(٢) أمير المؤمنين، الشيخ محمد جواد الشري: ٩٨.

يوم عاشوراء يوم الفرقان الثاني:

قد كان يوم عاشوراء يوم الفرقان الثاني بعد يوم الفرقان الأول (يوم بدر)، فاليومان يحملان نفس السمات والخصائص والأهداف.

«إنّ معركة الطف كانت معركة حقيقية في الأبعاد العقائدية والحضارية والسياسية؛ ولذلك فهي تتطلّب مواقف حقيقية من الولاء والبراءة وترفض التفرّجَ واللامبالاة، فطبيعة المعارك والصراعات الحضارية والعقائدية أنها تشطر الناس شطرين مخالفاً وموافقاً، ويجري هذا التشطير والانقسام بصورة مستمرة فيما بعد وإلى ما شاء الله من العصور.

ومعركة الطف في القمة من هذه المعارك والصراعات نظرًا إلى المواجهة والمقابلة العقائدية والحضارية والسياسية التي تمت في هذه المعركة، ولوضوح الطرفين في اتجاهاتهما العقائدية والحضارية، فلم يكن خافيًا أمر الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة على أحد من المسلمين كما لم يكن خافيًا أمر يزيد بن معاوية ابن آكلة الأكباد.... وسلالة الشجرة الملعونة في القرآن على أحد، ولا يشك أحد في ماهيّة وحقيقة الطرفين المتصارعين ومن هما، ومن منهما كان يدعو إلى الله ومن منهما كان يخالف إرادة الله ويعصيه.

هذه المأساة والمواجهة التاريخية شطرت الناس شطرين متميّزين.

الشطر الأول: الموالي والناصر والمنتمي والمرتبط والمساند.

والشطر الثاني: المخالف والمعادي.

وهذا الصراع لم يدع أحدًا يقف بين الصفين ليتفرج على المعركة من دون أن يصيبه غبار من هذا الطرف أو ذاك.

ولـذلك قلنـا أن هـذه المعركـة شـطرت النـاس في الـولاء والـبراءة شـطرين متميّزين، من سنة احدى وستين هجرية وإلى يومنا الحاضر وإلى ما شـاء الله مـن العصور.[١]

فكان أبو عبد الله الحسين عليه السلام ومن حوله من الرجال الإلهيين يمثّـل أهـداف الإسلام وحضارته، والطرف الآخر يمثّل الجاهلية المغلفة في ثوبها الجديد.

وقـد كـان الـدور الأكـبر والأبـرز في ذلـك اليـوم بعـد دور سـيد الشـهداء يتمثل في دور أبي الفضل العبـاس، فقـد كـان يمثّـل دور أبيـه أمـير المـؤمنين عليه السلام يوم الفرقان الأول (يوم بدر)، فقـد كانـت القيـادة العسـكرية في ذلـك المعسـكر الحسيني لقمر بني هاشم وكان صلوات الله عليه عماد وركيزة الجيش الحسـيني، في كـربلاء وقـد أعطـاه الإمـام الحسـين رايتـه يـوم عاشـوراء؛ لأنـه وجـد قمـر الهاشميين أكفأ من معه بحملها وأحفظهم لذمامه وأرأفهم به وأدعاهم إلى مبدئه وأوصلهم لرحِمِه وأحمـاهم لجـواره وأثبـتهم للطعـان وأربطهـم جأشًـا وأشـدهم مراسًا.[٢]

وقد سجّل أبو الفضل للأجيال أروع المواقف الجهادية المنقطعة النظير.

قال الدينوري: «بقي العباس بن علي قائمًا أمام الحسين يقاتل دونه ويميل معه حيث مال».[٣]

---

(١) في رحاب عاشوراء: ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر: ٧٢.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٥٧.

كما يخاطب في الزيارة:

«...أشهد وأُشهِد الله أنك مضيت على ما مضى عليه البدريون المجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه، الذابّون عن أحبائه، فجزاك الله أفضل الجزاء وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحد ممن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره».

ولما أخذ أبا الفضل الشوقُ إلى لقاء الله ولقاء الرسول ولقاء أسلافه والالتحاق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولعلمه أن سيده وقائده سوف يلحقه في الأثر، عند ذلك استأذن من القيادة الإلهية ليبرز إلى ساحة الشهادة وليسبق سيده إلى ذلك العالم، فأذن له الحسين لعلمه أنه لا بد له من ذلك. وعلى رواية الشيخ المفيد في الإرشاد قال: «وحملت الجماعة على الحسين، فغلبوه على عسكره واشتد به العطش، فركب المسنّاة يريد الفرات وبين يديه العباس أخوه فاعترضته خيل ابن سعد، وفيهم رجل من بني دارم، فقال لهم: ويلكم حُولوا بينه وبين الفرات ولا تمكنوه من الماء.

فقال الحسين عليه السلام: **(اللهم أظمئه)**، فغضب الدارمي ورماه بسهم فأثبته في حنكه، فانتزع الحسين السهم وبسط يده تحت حنكه وامتلأت راحتاه بالدم، فرمى به ثم قال: **(اللهم إني أشكو إليك ما يُفعل بابن بنت نبيك)**، ثم رجع إلى مكانه وقد اشتد به العطش، وأحاط القوم بالعباس واقتطعوه عنه فجعل يقاتلهم وحده حتى قُتل عليه السلام، وكان المتولي لقتله زيد بن ورقاء الحنفي وحكيم

بن الطفيل السنبسي بعد أن أُثخِن بالجراح، فلم يستطع حراكًا.[١]

قال السيد المقرّم: وسقط على الأرض ينادي: عليك مني السلام أبا عبد الله، فأتاه الحسين وليتني علمتُ بماذا أتاه، أبحياةٍ مستطارةٍ منه بهذا الفادح الجليل، أم بجاذب من الأخوّة إلى مصرع صِنوِه المحبوب.

نعم، حل الحسين عنده وهو يبصر قربان القداسة فوق الصعيد، قد غشيته الدماء وجلّلته النبال، فلا يمين تبطش، ولا منطقٌ يرتجز، ولا صولة تُرهب، ولا عين تبصر، ومرتكَز الدماغ على الأرض مبدّد.

لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلا هيكلًا شاخصًا معرّى عن لوازم الحياة، قد أعرب سلام الله عليه عن هذا الحال بقوله: «**الآن انسكر ظهري وقلّت حيلتي**».[٢]

محاكمة العمود

للشاعر ناجي علي حرابة:[٣]

أبـــو الفضـــلِ مِزْمَـــارُ مِحرابِـــهِ وأُنْشـــودَةُ الحَـــرْبِ تُـــتْلَى بِـــهِ

(١) الارشاد: ٢/ ١٠٩ .

(٢) مقتل المقرّم: ٢٦٩-٢٧٠.

(٣) ناجي علي حرابة مواليد ١٩٧٩م - الإحساء ، السعودية ، بكالوريوس لغة عربية من جامعة الملك فيصل بالإحساء، له مجموعة من الدواوين ، منها (عندما يبتسم الوجع، شعلة ،و فمي والعنقود الأحمر)، وحصل على المركز الأول في عدد من المسابقات ، ونال عدداً من الجوائز .

رأى اللهُ في قَلبِـــــهِ نُـــــورَهُ فَأودَعَـــــهُ بَيْـــــتَ أحْبَابِـــــهِ
فَـــمَا حَجَّـــتِ الشـــمسُ إلا لَـــهُ ومـــا أشْرَقَـــتْ مِـــنْ سِـــوَى بَابِـــهِ
سَـقَى الطّـفَّ مِـنْ نَزْفِـهِ فَانتَشَـتْ فَـــمَا ارْتَشَـــفَتْ مِثْـــلَ أنْخَابِـــهِ
بِكَفّيْـــهِ خَبّـــأ جَـــيْشَ الحِـــمَامْ وسِرْبُ الهَـــوى تَحْـــتَ أهْدَابِـــهِ
وَطـــا هَامَـــةَ الحَـــرْبِ في صَـــدْرِهِ دُعَـــــاءً يَفُـــــوحُ بِأطيَابِـــــهِ
ومـــــا رَأسُـــــهُ ذاكَ لَكِنَّـــــهُ لَـــــدَى اللهِ مِيـــــزَانُ أسْـــــبَابِهِ
فقـــلْ يـــا عَمُـــودَ الضَّـــلالِ الـــذي تَحَـــــدَّرْتَ مِـــــن شَرِّ أصْـــــلابِهِ
أأنـــتَ سَتكـــسُرُ غُصْـــنَ الـــدُّعاء وَتُسْـــــكِتَ تَرْتِيـــــلَ عِنّابِـــــهِ
أتَحْسَـــبُ أنَّ الهـــدى ظـــامئٌ إذا انكـــسَرَتْ خَـــيْرُ أكوابِـــهِ؟
ولكنّـــــهُ كَعْبَـــــةٌ رَحْمَـــــةً يُفِـــيضُ الـــدِّما ثَغْـــرُ مِيزابِـــهِ
وقـــدْ ســـالَ للعـــدلِ مـــا بَيْنَنَـــا يُعِيـــدُ إخـــضرارًا لأَخْشـــابِهِ

الفصل السادس

مبدأ الولاء والبراءة
في
نص الزيارة

النص:

«...أشهد أنك قُتِلت مظلومًا، وأن الله منجزٌ لكم ما وعدكم. جئتك يا بن أمير المؤمنين وافدًا إليكم، وقلبي مسلّمٌ لكم، وأنا لكم تابع ونصرتي لكم معدّة، حتى يحكم وهو خير الحاكمين. فمعكم معكم لا مع عدوّكم، إني بكم وبإيابكم من المؤمنين، وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين، قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن ».

إن من معطيات الزيارة وأهدافها توثيق الصلة والرابطة الروحية والفكرية بين الزائر والمزور -كما سبقت الإشارة- وهذا ما توحي به عبارات الزيارة في هذا المقطع، فالزائر يخاطب أبا الفضل:

«....أشهد أنك قُتلت مظلومًا ،وأن الله منجزٌ لكم ما وعدكم».

والمراد بالشهادة هنا الإيمان والاعتقاد، بمعنى أن الزائر يؤمن بمظلومية هذا الشهيد، وأنه قد وقع عليه الظلم من قِبل طواغيت عصره، وهكذا كل شهيد في التاريخ هو من المظلومين حينما يُقتل في سبيل الحق والثبات عليه والدفاع عنه، فقد سُفك دمه ظلمًا وعدوانًا.

وبهذه الشهادة وهذا الإيمان يعلن الزائر انضمامه إلى جمهور الشهادة، الجمهور الذي هو خارج دائرة الشهادة؛ لأننا نستطيع أن نقسّم جمهور الشهادة إلى قسمين.

القسم الأول: يتمثّل في أشخاص الشهداء أنفسهم، الذين وقعوا في ساحة الصراع والمواجهة لقوى الباطل حتى استُشهدوا في تلك الساحات.

القسم الثاني: من جمهور الشهادة: يتمثّل في الذين تأثروا بشهادة الشهداء وتضحياتهم، وارتبطوا بهم. وهذا هو القسم الذي وصفناه بأنه خارج دائرة الشهادة، إلا أنه من جمهورها والمرتبطين بها والمنشدّين إلى أشخاص رموزها.

فالزائر هنا يقرر ويؤكّد انضمامه إلى جمهور الشهادة، وإن لم يكن من الشهداء، ويعلن وقوفه إلى صف المظلومين الذين سوف ينتقم الله لهم من أعدائهم، وأن الله تعالى سوف ينجز لهم ما وعدهم، كما تعبر عن ذلك جملة:

«....وأنَّ الله منجزٌ لكم ما وعدكم».

والجدير بالملاحظة هنا هو الانتقال من ضمير المفرد إلى ضمير الجماعة، بعد أن يؤكد الزائر بأن أبا الفضل العباس من الشهداء الذين هم في دائرة الشهادة، بل هو من عظمائها ورموزها ينتقل إلى مخاطبة عموم الشهداء والمضحين والمظلومين، بقوله: **(وأن الله منجزٌ لكم ما وعدكم)**، فهو يؤمن أن عاقبة هذا الصراع الطويل بين الحق والباطل هي في صالح الشهداء والمظلومين، وليس في صالح القتلة الظالمين المجرمين، سواءٌ كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة.

أما في الدنيا، فإن هذه الدماء الزكية وهذه التضحيات المقدسة، سوف تُتَوّج في نهاية هذا الصراع الطويل بين الحق والباطل، بقيام دولة الحق الإلهي. وهذا ما وعد الله به عباده الصالحين في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.[١]

وفي قوله تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.[٢]

ويتحقق هذا الوعد الإلهي عند قيام المصلح العالمي الإمام المهدي المنتظر أرواحنا لمقدمه الفداء، وعلى يده تتحقق الأهداف الإلهية لقيام دولة الحق (الدولة الكريمة)، والتي تمثل النتيجة النهائية للصراع المستمر بين الحق والباطل على طول التاريخ.

والثمرة المرجوة لما بذله الأنبياء والشهداء والمصلحون الإلهيون من جهود وجهاد ودماء في هذا الطريق، كل ذلك يُتَوّج بقيام دولة الحق والعدل. وكم سقيت هذه الشجرة (شجرة الإيمان) بدماء الشهداء من الأنبياء والأولياء على مر التاريخ، ولاشك في أن من أعظم وأقدس الدماء التي سقيت بها هذه الشجرة تلك الدماء الطاهرة التي قدمها سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام على أرض كربلاء المقدسة.

وإن لدور الإمام المهدي اتصالاً مباشراً بالثورة الحسينية حيث يتم على يده الإنجاز العظيم للوعد الإلهي لهؤلاء الشهداء العظماء، وتتحقق الأهداف التي من أجلها بذلوا أرواحهم وسفكت دماؤهم الطاهرة.

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) القصص: ٥-٦.

بل نقول: إن ثورة الإمام المهدي هي المحصلة الأخيرة للثورة الحسينية كما هو واضح من الروايات التي تتناول العلاقة بين هذين القيامين العظيمين.

وكأن قيام الإمام الحسين (عليه السلام) في مجموع أحداثه يتألف من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: قد تم بوقوع فاجعة عاشوراء، حتى عودة الركب الحسيني إلى المدينة بقيادة الإمام زين العابدين(عليه السلام).

الفصل الثاني: يمتد في الفترة الواقعة ما بين فاجعة الطف إلى قيام الإمام المهدي، وهو فصل الحفاظ على الإسلام وبقائه.

الفصل الثالث: يتحقق بقيام الإمام المهدي ثائرًا للحسين ومُظهرًا لدين الإسلام على الدين كله.

ويرى المتأمل في هذه الروايات الشريفة بوضوح أن قيام الإمام المهدي امتداد حقيقي لقيام الإمام الحسين، وأن عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة كانت هي المعركة الأولى من معارك الإمام الحسين وإن كان قد استشهد فيها. وأن الفترة مابين عاشوراء والظهور فترة مليئة بمواجهات ومعارك عديدة أخذ الإمام الحسين فيها بخناق جميع طواغيت تلك الفترة لا بجهاد يزيد بن معاوية وحده، وأن العالم إنما يشهد في عصر الظهور الفصلَ الأخير من قيام الإمام الحسين (عليه السلام) بقيادة الإمام المهدي.[1]

(١) الركب الحسيني الجزء الأول: ١٨٦-١٨٧.

وبهذا ينجز الله ما وعد أولياءه والدشهداء في سبيله (... **وأن الله منجزٌ لكم ما وعدكم**) هذا كله في الدنيا.

وأما في الآخرة فإن الله تعالى وعد أولياءه والشهداء في سبيله بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة في جواره تعالى، كما في قوله تعالى:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله وَفَضْلٍ وَأَنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(١)

وحياة الشهداء حياتان: مجازية، وحقيقية. أما الحياة المجازية فهي حياة الذكر الخالد والعطر بعد الاستشهاد، كونهم يعيشون في أفكار وضمائر ووجدان أجيال الأمة والبشرية.

فإن الأمة متى كانت تعيش حالة الوعي تجد نفسها مدينة في حياتها وبناء مجدها وكيانها بما قدمه الشهداء الذين بذلوا أعز ما يملكون وهي أرواحهم ودماؤهم في سبيل أن يبقى لهذه الأمة دينها وعزتها وشرفها، فمن حق هؤلاء على الأمة أن تمجدهم وتقدسهم وتخلد ذكرهم، وهذا نوع من أنواع الحياة للإنسان بعد الموت وهذه هي الحياة المجازية.

وأما الحياة الحقيقية للشهداء فهي الحياة التي يعيشونها في العالم الآخر بعد الاستشهاد مباشرة بدءًا من العالم البرزخي - كما أشار القرآن الكريم - إلى شيء من جوانب تلك الحياة في النص القرآني السابق، فهم:

---

(١) آل عمران: ١٦٥-١٧١.

(أحياء عند ربهم يُرزقون)، فهم يملكون الحياة التامة والحقيقية التي لا نقص فيها ولا نهاية لها. فإن المقصود بالحياة في الآية هي الحياة البرزخية في عالم ما بعد الموت لا الحياة الجسمانية والمادية - وإن لم تختص الحياة البرزخية بالشهداء - فللكثير من الناس حياة برزخية أيضا ولكن حيث أن درجة الشهداء من النمط الرفيع جدًا، فإن حياتهم البرزخية محفوفة بالنعم والمواهب الإلهية العظيمة وكأن حياة الآخرين في البرزخ بما فيها لا تكاد تكون شيئا يذكر نسبةً إلى درجة حياة الشهداء قد كرمهم الله بذكر العِنْدِيّة والربوبية وإضافتها إلى الضمير العائد عليهم (عند ربهم).

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾[1]، وهنا إشارة إلى بعض مزايا حياتهم في ذلك العالم وما يتبعها ويلازمها من عظيم البركات، فأشارت الآية الكريمة إلى عظيم ابتهاجهم بما أوتوا هناك، ومعنى الفرح هو السرور وهو ضد الحزن، أي أنهم مسرورون بما وجدوه من فضل الله لديهم حاضرا مشهودا عندهم. وأما الفضل فهو زائد على الرزق، فإنه ما كان من غير مقابلة، كقوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.[2]

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]، وهذا بيانٌ للسبب الآخر لابتهاجهم ومسرّتهم، وهو ما يجدونه ويلقونه من عظيم الثواب ورفيع الدرجات الذي ينتظر إخوانهم المجاهدين الذين لم ينالوا شرف الشهادة بعد.

---

(١) آل عمران: ١٦٥-١٧١.

(٢) فاطر: ٣٠.

(٣) فاطر: ٣٠.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وهذه جملة مستقلة لم يذكر فيها حرف العطف؛ اهتمامًا وتعظيمًا لأن مفادها نعمة عظيمة فوق جميع النعم.... وقد أبهم الله عز وجل النعمةَ وأضافها إلى نفسه جل جلاله لتقترن الفخامة الذاتية للنعمة بالفخامة الإضافية إليه تعالى، وليذهب ذهن السامع كلَّ مذهبٍ ممكن. كما أنه عز وجل جمع بين النعمة والفضل؛ لبيان أن النعمة التي أنعمها الله تعالى عليهم مضاعفة ولا نهاية لسرورهم ولذتهم ولا حد لعناياته عز وجل بهم.[٢]

فعبارات الزيارة توحي إلى الزائر بهذه الرؤية فيعيش هذه الآفاق القرآنية «وأن الله منجزٌ لكم ما وعدكم».

مبدأ الولاء والبراءة في نص الزيارة:

وفي هذا القسم من الزيارة يعطي الزائر قراراً وتعهداً على نفسه بالثبات والاستمرارية على الطريق الذي من أجله ضحّى هؤلاء الشهداء بدمائهم وبذلوا أرواحهم.

«جئتك يا بن أمير المؤمنين وافداً إليكم وقلبي مسلمٌ لكم وأنا لكم تابع ونصرتي لكم معدّة حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، فمعكم معكم لا مع عدوكم، إني بكم وبإيابكم من المؤمنين وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين، قتل الله أُمة قتلتكم بالأيدي والألسن».

---

(١) آل عمران: ١٦٥-١٧١.

(٢) راجع في تفسير، الآيات تفسير الأمثل الجزء الثاني: ٦٠٥-٦٠٩. وتفسير مواهب الرحمن: ٥٢-٥٧.

وهذا المضمون وهو التعهد الذي يعطيه الزائر على نفسه نجده في أكثر من مكان من نصوص الزيارات التي وضعها الأئمة لزيارة بعض المعصومين عليهم السلام وأولياء الله الصالحين نشير إلى بعض النماذج.

جاء في الزيارة الجامعة الكبرى:

«أُشهِدُ الله وأُشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصرٌ بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موالٍ لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم معادٍ لهم، سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، محقق لما حققتم مبطل لما أبطلتم مؤمنٌ بسركم وعلانيتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وآخركم مفوض في ذلك كله إليكم».[١]

وجاء في إحدى الزيارات المطلقة لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام:

«وأشهد أنك ومن قتل معك من الشهداء أحياء عند ربكم ترزقون وأشهد أن قاتِلكَ في النار أدين الله بالبراءة ممن قتلك وممن قاتلك وشايع عليك وممن جمع عليك، وممن سمع صوتك ولم يعنك يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيما».[٢]

وجاء في زيارة أخرى: **«وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متبع».**[٣]

---

(١) مفاتيح الجنان: ٦٢١-٦٢٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ٥٠٠.

(٣) مفاتيح الجنان: ٥٠٣ .

فنلاحظ أن هذه النماذج من نصوص الزيارات تحمل نفس المضمون الذي تضمنته زيارة أبي الفضل العباس.

والجدير بالملاحظة في هذا المقام أن يخاطب أبو الفضل العباس بنفس الخطاب الذي يخاطب به المعصومون عليهم السلام كما هو واضح من ملاحظة النماذج السابقة وما جاء في زيارة أبي الفضل، وهذا مؤشر كبير إلى عظمة هذا الشهيد ومكانته الجهادية والإستشهادية عند الله تعالى إلى درجة أنه يزار ويخاطب من قبل الإمام المعصوم وسائر الزائرين بالأسلوب والعبارات الموجهة إلى المعصومين وما ذاك إلا لأنه ركن من أركان مدرسة الشهادة.

وهذا المضمون المتكرر في نصوص الزيارات التي يزار بها أهل البيت ومن في دائرتهم وهو التعهد من الزائر بالوفاء والثبات هو تعبير عن مبدأ مهم في نظر الإسلام أراد أهل البيت تأصيله وتثبيته في فكر الإنسان المؤمن ووجدانه وهو مبدأ الولاء والبراءة «الولاء لأولياء الله والبراءة من أعداء الله»، وهذا المبدأ من أهم المبادئ الإيمانية والعملية في نظر الإسلام؛ لأنه يمثل طرفي الإيمان سلباً وإيجاباً، وقد أكدت النصوص بكل تأكيد على هذا المبدأ موضحة أنه لا يمكن الفصل بين طرفيه وبعديه (الولاء والبراءة)، وهو مبدأ قرآني.

قال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾.[1]

فالآية القرآنية ترسم للمؤمن مبدأ الولاية والبراءة ونلاحظ أن الآية أكدت على جانب البراءة من أعداء الله.

(١) المجادلة: ٢٢.

قيل للأمام الصادق عليه السلام: إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم فقال عليه السلام: «**هيهات كذب من ادعى محبتنا ولم يبرأ من عدونا**».[١]

والسائل في هذا الحديث دقيق في طرح السؤال، أن الشخص الذي هو موضع السؤال لا يشك في ولائه ولكنه يضعف عن البراءة وضعفه يجعل موقفه من البراءة مهزوزاً وضعيفاً ولا يملك القوة الكافية في أن يعلن عن موقفه في الولاء والبراءة والوصل والفصل والارتباط والمقاطعة بشكل صريح وحاسم فيجيبه الإمام أن الولاء الصادق لا يمكن أن ينفصل عن البراءة ومن يجد في نفسه ضعفاً عن البراءة فهو كاذب في ولائه.

وفي حديث الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«**وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام وهتكوا حجابه فأخذوا من فاطمة فدك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقها وهموا بإحراق بيتها وأسسوا الظلم وغيروا سنة رسول الله والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم واجبة**».[٢]

فلا يمكن أن نتصور شخصاً يحمل الولاء الصادق من غير براءة من أعداء الله وأعداء أوليائه.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٧/ ٥٨. (ط - بيروت).
(٢) الخصال: ٢/ ٦٠٧.

روي أن رجلا قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: **يا** أمير المؤمنين إني أحبك وأحب فلاناً، وسمى بعض أعداءه فقال له عليه السلام: «**أما الآن فأنت أعور إما أن تعمى وإما أن تبصر**».[1]

ورؤية الأعور نصف الرؤية يرى بإحدى عينيه فقط وكذا ولاء الإنسان الذي يفقد البراءة ولا يجرؤ على البراءة ويريد أن يجمع بين الكل ويراعي الكل، ومثل هذا النمط من الناس لا يبقى أعور إلى آخر عمره بنصف الرؤية فإما أن يهديه الله تعالى فتكتمل لديه الرؤية وإما أن يفقد هذه الرؤية النصفية فيعمى ويفقد الولاء مطلقاً.[2]

وهذا ما أكدته نصوص الزيارات بما فيها زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام على لسان الزائر:

«**جئتكَ يا بن أمير المؤمنين وافداً إليكم وقلبي مسلمٌ لكم وأنا لكم تابع ونصرتي لكم معدّة حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فمعكم معكم لا مع عدوكم إني بكم وبإيابكم من المؤمنين وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين**».

بعد هذا يعلن الزائر ويؤكد غضبه ونقمته على القتلة الظالمين بقوله: «**قتل الله أمة قتلتكم بالأيدي والألسن**».

وفي هذه الجملة من الزيارة التفاتتان مهمتان تتعلقان بالقتلة المجرمين.

الالتفاتة الأولى: بأن الزيارة وصفتهم بالامة (أمة الضلال) ويعني ذلك أن الجريمة تاريخية في قتل أهل البيت وسائر الشهداء والمجاهدين، أذا لم تنحصر

(١) بحار الأنوار: ٢٧/ ٥٨. (ط - بيروت).

(٢) في رحاب عاشوراء: ٢٤٣.

الجريمة في الفئة التي باشرت الفعل بل القاعدة أوسع وأشمل وأبعد امتداداً من ذلك ان أمة الضلال تتكون من عدة فئات:-

الفئة الأولى: هم المباشرون بالجريمة.

والفئة الثانية: المناصرون لقوى الطغيان.

والفئة الثالثة: هم الراضون بالجريمة، وقد جاء في إحدى زيارات سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام:

«فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به».

فكل هذه الفئات شركاء في الجريمة، المنفذون والمؤيدون والناصرون والراضون والمبررون للقتلة فعلهم وذلك على طول التاريخ.

والالتفاتة الثانية في هذه الجملة اشارة إلى الوسيلة والطريقة التي استخدمها المجرمون فإنها لا تنحصر في وسيلة السلاح والاستعانة باليد لتنفيذ جريمة بل إلى جانب ذلك سلاح الكلمة من أخطر الأسلحة بل لعل هذا السلاح أخطر من السيف والرمح سابقاً أو السلاح الحديث في العصر الراهن؛ لأن سلاح الكلمة يبرر للمجرمين جريمتهم ويجعل من فعلهم الجائر أمراً مقبولاً، ويتمثل هذا السلاح في الوقت المعاصر في الإعلام المضلل بكل أنواعه وأشكاله من الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، فإن الكلمة التي تصدر تحت عنوان الفتوى الشرعية التي تجعل بيعة يزيد بيعة شرعية بيعة صحيحة، وبالتالي يكون حكمه حكماً شرعياً لا يجوز معارضته أو القيام في وجهه، فإن هذه الفتوى أشد فتكاً وحرباً للحسين من ذلك السهم الذي أصاب الحسين يوم عاشوراء فأدى إلى أن أوقع الإمام من على ظهر جواده إلى الأرض؛ لأن هذا السلاح -سلاح الكلمة-

يعطي لذلك السلاح (السهم) شرعيته ويبرر للمجرم جريمته، فإن النتيجة من القول لصحة بيعة يزيد وشرعية حكمه هو جعل الحسين من البغاة والخارجين على الشرعية وبالتالي جواز حربه، بل وجوب صده والقضاء على حركته.

فالقاتلون والناصرون والمؤيدون والراضون أمة واحدة.

من هنا جاءت الروايات أن الإمام المهدي ينتقم من كل فئات أمة الضلال بما فيهم الراضون بجريمة قتل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

عن عبد الله بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعال آبائهم؟ فقال عليه السلام: هو كذلك.**

فقلت: فقول الله عزوجل: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ ما معناه؟

فقال: **صدق الله في جميع أقواله لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب، كان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم**».[1]

لأن حالة السخط والرضا لدى الإنسان تجاه أي حدث من الأحداث، تمثل موقفًا من ذلك الحدث، وقد يتعدى ذلك إلى موقف عملي من الإنسان، وجريمة قتل الحسين هو الحدث الذي ترك أثره على مسيرة الأمة فقسم الأمة إلى فريقين، فهو يوم الفرقان الثاني بعد يوم بدر -كما مرت الإشارة فيما تقدّم-، فهذا الانقسام مستمر بعد ذلك الحدث متمثلًا في معسكرين:

---

(١) الركب الحسيني: ١/ ١٩٠.

معسكر الرفض والمواجهة للظلم والجور وهو المعسكر الذي يحمل روح السخط والغضب المستمر من أجل تلك الجريمة التاريخية.

والمعسكر الثاني هو الذي يحمل الرضا والقبول بتلك الجريمة، بل يحمل روح التأييد والتبرير لذلك الحدث، فأي إنسان يعيش حالة الرضا أو السخط تجاه ذلك الحدث، فقد صنّف نفسه في إحدى الجبهتين اللتين لا يتوقف الصراع والمواجهة بينهما على مرّ التاريخ.

والحديث حينما يشير إلى ذراري قتلة الحسين لا يريد بذلك الذراري النَّسبيين بالذات، بل يريد الأعم من ذلك، الذي يشمل الأجيال الوارثة لأولئك القتلة فكريًّا وعقَديًّا وعاطفيًّا وحضاريًّا، الورثة ليزيد وابن زياد وابن سعد وشمر ومن لفَّ لفَّهُم من الطواغيت والقتلة،.كما أن الجبهة الأخرى هم الورثة لحمَلَة الحق والدعاة إليه، الذين هم ورثة الأنبياء والمرسلين، فمن الطبيعي أن يقف ذراري قتلة الحسين وورثتهم في الجبهة المعادية لحركة الإمام المهدي الإصلاحية العالمية التي يرفع فيها الإمام شعار «يا لِثَاراتِ الحسين»، فعند ذلك من الطبيعي أن يقضي الإمام عليه السلام على كل من يقف في وجه الإصلاح كائنًا من كان.

مبدأ الولاء والبراءة في نص الزيارة

للشاعر جاسم المشرف:[1]

صَحا الليلُ في عيني وما رُمتُ مَذهَبا ... سِوى قمرٍ في الخافِقَيْنِ تَلَهّبا

إذا مرَّ للعباسِ وَصْفٌ بِخَاطِرِي ... تَمَايَلْتُ كالأفنانِ نَشْوانَ مُعْجَبَا

وكانَ كما البِلَّوْرِ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... يَشِعُّ عَلينا بالجَمَالِ مُرَحِّبا

أنا فاضِلُ الصَّلصَالِ مِنْ قُدْسِ طِينِهِ ... وما كُنتُ إلا في هَواهُ مُعذَّبا

رَسَمْتَ أبا الفَضْلِ الفضائلَ لَوحةً ... فشرَّقَ منها المَجْدُ فخرًا وغَرَّبا

أَفَضْتَ علينا وَمْضَةً إثْرَ وَمْضَةٍ ... وَقدْ كُنْتَ مَطلوبًا وما كُنتَ طالِبا

بربِّكَ يا مولايَ أيُّ كرامةٍ ... تُدانيكَ في فَضلٍ إذا الفضلُ غُلِّبَا؟

ولم ترَ إلا وَجْهَ ربِّكَ في أبٍ ... وسبطٍ لَهُ كُلُّ الوجودِ تَوَثّبَا

ألا أيُّها السَّقّاءُ يا مَن ترَفَّعَتْ ... لَهُ النفسُ عَن عَذْبِ الزُّلالِ فأخْصَبا

رأيتُكَ رَمْزاً للكَمَالِ مُشَعْشِعًا ... تَدَرَّجَ في صُلبِ الهُدى وَتقلَّبا

رأيتُكَ يا (حامي الضعينةِ) سورةً ... تُرَتِلُها السبعُ الشِدادُ تقرُّبا

---

(١) جاسم حسين المشرف مواليد ١٣٩٠هـ، قرية الدالوة، دبلوم إدارة من معهد الإدارة العامة فرع الدمام عام ١٤١٣هـ، بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٤١٨هـ، أنهى متطلبات الماجستير في الأدب والنقد العربي الحديث في جامعة البحرين عام ١٤٢٤هـ، له عدد من المؤلفات وشغل عضوية عدد من المنتديات، من إصداراته المطبوعة، ١- تجليات (شعر ولائي)، ٢- عندما ينطق التراب (مقالات أدبية في طيبة الطيبة)، ٣- الحسين فاتحة الكتاب.

رأيتُكَ يا (كبشَ الكتيبةِ) قِصةً ... بِها مِنها فيها المَجْدُ غنَّى وأسْهَبَا
وَعالجتُ فيكَ الصَّعبَ كي أبلُغَ المدَى ... وَلكنَّ فِكري في عُلاكَ تهيَّبا
فما كُلُّ مَن رامَ السناءَ ينالُهُ ... وما كُلُّ مَن يدنو إلى القُربِ قُرِّبا
وأنتَ سنا الأقمارِ مِن آلِ هاشمٍ ... وَخسفُ سناها يجعلُ الصبحَ غَيهبا
وخسفُ سناها لا الصلاةُ تُعِيدُهُ ... ولا آهةُ منها الوجودُ تَجَلْبَبَا[1]
ألا أيُّها (العبدُ المُطيعُ لربِّهِ) ... وخِيرَةِ خَلْقِ الله إنْ رُمْتَ مَطلَبا
خَفَضْتَ جَناحَ الذُّلِ طِفلاً ويافعاً ... وواسيتَ رُكنَ الدينِ في أعظمِ الإبا
هجمتَ على الموتِ الزُّؤام ملاحقاً ... بقوةِ بأسٍ لم يَجِدْ مِنْهُ مَهْرَبَا
كتيبةُ جيشٍ في اليَمِينِ تُدِيرُها ... وأخرى على اليُسرَى فما عُدتَ خائِبا
وسيفٌ كمِثْلِ البرقِ فيهم مُزَمْجِراً ... أنا ابنُ الذي مَن جَالَ بالموتِ خاطبا
ورَفَّ لِواءُ العِزِّ يا (حاملَ اللوا) ... وسيفُكَ ما استعصى عليكَ وما أبى
وخُضتَ جموعَ الجيشِ مثلَ زلازلٍ ... وما كنتَ عندَ النهرِ ترنو لِتشربا
ملأتَ مِن الآمالِ قِربةَ حازمٍ ... ورُحتَ تَشِقُّ الجيشَ بالسيفِ مُغْضَبَا
فَقدَّمْتَ مِنْكَ الكفَّ يا كَفَّ حيدرٍ ... وأتبعتَها الأُخرى وَرأساً مُخضَّبا
وعيناً بها السَّهمُ اللئيمُ مُطنِّبا ... وقِربةَ آمالٍ تتوقُ إلى الخِبا

(١) – تهيبا– تقطبا.

وقعتَ بكفِّ اللهِ فاهتزَّ عَرشُهُ ... وجاءكَ قُطبُ الكونِ دمعاً تصببا

أخِي يا أخِي كُلُّ النجومِ تساقطتْ ... (وقد كنتَ جيشاً واحداً فَتَشَعّبَا)

أبا الفضلِ عَلِّمني الإباءَ فإنني ... على الحقِّ مغلوبٌ وما عُدتُ غالِبا

أبا الفضلِ أَلهِمني اليقينَ إذا انْبَرَتْ ... وساوِسُ خَنَّاسٍ، وقلبٌ تَقَلّبَا

أبا الفضلِ وارسمْ لِي الطريقَ خريطةً ... لأَقْرَبَ مِن أهْلِ الكَمَالِ وأَصْحَبَا

أبا الفضلِ وارسمْ لي الفضائِلَ صُورَةً ... لأجْلُوَ مِنها جَذْوَةً أو لِأَصْحَبَا

وأَرْسِلْ إلينا مِن ضَرِيحِكَ نَفْحَةً ... على إثرِ أُخرى كي نَطيبَ ونَعذُبَا

وداوِ جِراحاتِ الفؤادِ بنظرةٍ ... تُجلِّيهِ إيماناً فقد كانَ مُذنِبَا

تَرفَّقْ علينا مثلَ كأسٍ عزيزةٍ ... دَلفْتَ بها نحوَ الرّضيعِ ليَشْرَبَا

وَعتِّقْ لَنَا مَاءَ الوَلَاءِ فمِثلُكم ... شفيقٌ على الإيمانِ أن يَتَسرَّبا

نفوذاً إلينا بالبصِيرَةِ مِثْلَمَا ... عُيُونُكَ ما تَنْفكُ ترنو لِزَيْنَبَا

رأيتُكَ في عينِ الحُسَينِ عِمادَهُ ... وجيشاً لَهُ ما ذلَّ يَوْمًا ولا نَبَا

يَهُونُ عَلَيْكَ الحالُ لو كنتَ حاضِرًا ... ومِن صَوْتِهِ الصُمُّ الصِّلابُ تَأوَّبَا

يَهُونُ عليكَ الطفلُ في حُضنِ أُمِّهِ ... سِياطاً لزَجْرٍ تَجْعَلُ المَتْنَ مَلْعَبَا

ألا يا صَبُوحَ الوَجْهِ ما صَبَّحَ الأسَى ... على زَيْنَبٍ إلا وقدْ جئتَ[1] مُغْضَبَا

(١) كنت.

غَيُـورٌ وشَـهْمٌ كيْـفَ تُسْـبى حَرَائِـرٌ وما شِـئتَ إلا أن تُصـانَ وتُحْجَبَـا؟

وأنـتَ أبِيُّ الضَّـيْمِ يـا شِـبْلَ حيـدرٍ أكنـتَ رأيـتَ الخِـدرَ جِـيءَ ليُنهبـا؟

حنانَيْكَ يـا مـولايَ: مـا تِلـكَ شِـيمتي (ومِـن حقِّكـم ألا ألـومَ وأَعْتِبـا)[1]

ولكـنَّ حُـزني سَرْمَـدِيٌّ وآهَتِـي تفـورُ كـما البركـانِ تَنْبـو عـلى الرُّبـى

١٤٣٥/١/٧هـ

(١) بدوي الجبل (بتصرف).

الخاتمة

زيارة الوداع

النص:

روى أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إذا ودّعت العباس فآته وقل: استودعك الله وأسترعيك وأقرأ عليك السلام، آمنّا بالله وبرسوله وبكتابه وما جاء به من عند الله. اللهم فاكتبنا مع الشاهدين، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن أخي نبيّك وارزقني زيارته أبدًا ما أبقيتني، واحشرني معه ومع آبائه في الجنان، اللهم وعرّف بيني وبينه وبين رسولك وأوليائك اللهم صل على محمد وآل محمد، وتوفّني على الإيمان بك والتصديق برسولك، والولاية لعلي بن أبي طالب والأئمة من ولده والبراءة من عدوّهم، فإني قد رضيت بذلك يا رب**».

في نهاية هذه الوقفات القصيرة التي وقفناها مع فقرات هذه الزيارة الشريفة، واستوحينا منها بعضًا مما تضمنته من المفاهيم والمعاني التي أراد المعصومون عليهم السلام تأكيدها وتأصيلها في فكر الإنسان المؤمن ووجدانه من خلال نصّ هذه الزيارة. في نهاية هذه الوقفات نقف عند هذا القسم الختامي من الزيارة وهو نص الوداع، الذي يودّع فيه الزائر أبا الفضل العباس حينما يريد المغادرة والرجوع إلى أهله وبلده. وفي هذا القسم يؤكّد الزائر قبل المغادرة ذلك العهد الذي أعطاه على نفسه لهذا الوليّ الشهيد، وهو الثبات على المبادئ التي من أجلها استُشهد وقُتِل هذا الشهيد العظيم، وبذل دمه وحياته كل ذلك من أجل أن تبقى هذه المبادئ حيّة متحرّكة في حياة الأمة، فهو على هذا العهد يغادر إلى بلاده، ولو قُدِّر له أن يغادر الحياة الدنيا إلى الآخرة قبل العود إلى زيارة هذا المرقد الطاهر، فهو يموت على ما عاهد عليه الله.

إلا أنه يرجو من الله تعالى أن لا يجعل هذه الزيارة وهذه الوقفة هي الوقفة الأخيرة منه أمام ذلك المزار والقبر المقدّس.

«.....**أستودعك الله وأسترعيك وأقرأ عليك السلام**»

وهذا الخطاب إما أن يكون من باب الدعاء من الزائر للمزور، يدعو الله أن يكون المزور وديعةً وأمانةً عند الله وفي رعايته الدائمة، ويقرأ عليه السلام إيذانًا بالمغادرة وهو نوعٌ من الأدب والإجلال والاحترام أمام حجج الله وأوليائه الصالحين، كما يودّع الإنسان أيّ شخص من الأحياء عند زيارته حينما يريد مفارقته، لأن الزائر يعتقد أن أولياء الله تعالى يسمعون الكلام ويردّون السلام، كما يؤكّد ذلك النص الوارد عندما يريد الزائر الاستئذان للدخول إلى إحدى الحضرات المقدّسة من مزارات النبي والأئمة الطاهرين.

«....**اللهم إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته ،كما أعتقدها في حضرته، وأعلم أن رسولك وخلفاءك عليهم السلام، أحياءٌ عندك يُرزقون، يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردّون سلامي، وأنك حجبت عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم**».[1]

وإما أن يكون هذا الخطاب من باب تأكيد الإقرار والاعتراف بمسائل العقيدة والإيمان أمام هذا الوليّ؛ ليكون هذا الإقرار مستودعًا عنده وموثّقًا لديه ليكون شاهدًا عليه يوم الموافاة غدًا بين يدي الله تعالى، وعلى هذا تأتي العبارات التالية: «....**آمنّا بالله ورسوله، وبكتابه ،وبما جاء به من عند الله، اللهم فاكتبنا مع الشاهدين**».

(١) مفاتيح الجنان: ٣٨٣ .

وهذا النوع من الأدب نقرؤه في العديد من نصوص الزيارات للمعصومين عندما يعزم الزائر على مغادرة المزار والرجوع إلى أهله وبلاده، كما في وداع أمير المؤمنين عليه السلام:

«السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أستودعك الله وأسترعيك وأقرأ عليك السلام، آمنّا بالله ورسله وما جاءت به، ودَعت إليه، ودلّت عليه فاكتبنا مع الشاهدين، اللهم لا تجعله آخر عهدٍ من زيارتي إياه، فإن توفيتني قبل ذلك فإني أشهد في مماتي على ما شهدْتُ عليه في حياتي».[1]

ويواصل الزائر وداعه لأبي الفضل مبتهلًا إلى الله تعالى أن يجعل هذا الارتباط الفكري والروحي مع أبي الفضل ارتباطًا دائمًا مستمرًّا غير منقطع، سواءٌ ذلك في الدنيا أو في الآخرة.

أما في الدنيا فباستمراريّة الزيارة والتردد على حرم أبي الفضل والوقوف أمام قبره.

«اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارةِ قبر ابن أخي نبيّك، وارزقني زيارته أبدًا ما أبقيتني».

وأما في الآخرة فيدعو الزائر بأن يحشره الله في زمرة أوليائه وحججه والشهداء في سبيله، وأن يعرّف الله بينه وبين من لهم المقام الأسمى في ذلك العالم، وهم الرسول الأعظم وأهل بيته الطاهرون صلوات الله عليهم، فإن من يُحجب في ذلك اليوم عن معرفتهم فإنه من الأشقياء وله سوء المصير.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٤٣٥.

«....واحشرني معه ومع آبائه في الجنان، وعرِّف بيني وبينه وبين رسولك وأوليائك».

ثم يختم الزائر زيارته بأن يدعو ربه بأن يختم له بالعاقبة الحسنة بأن يميته على الإيمان بالله ورسوله والولاية لأمير المؤمنين وأولاده الطاهرين عليهم السلام، كما كان في الدنيا يحمل هذا الإيمان والولاء راضيًا به وبما يترتب على ذلك من تحدّيات ومضايقات ومواجهات، موطّنًا نفسه على مواجهة أنواع الأذى من قِبل أعداء الله وأعداء أهل البيت عليهم السلام.

«...اللهم صل على محمد وآله وتوفّني على الإيمان بك، والتصديق برسولك، والولاية لعلي بن أبي طالب والأئمة من وُلدِه، والبراءة من أعدائهم، فإني رضيت بذلك يا رب»

إلى هنا تنتهي هذه الوقفات أمام نص هذه الزيارة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الزائرين لتلك المراقد المقدّسة، والمترددين عليها ما دمنا أحياءً، وأن يحشرنا غدًا في زمرة محمد وآله الطاهرين، وأن يتقبّل منا هذا اليسير بحق أوليائه وأصفيائه إنه هو وليّ التوفيق. والحمد لله رب العالمين بِدْءًا وختامًا.

الفهارس الفنية

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات.

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ	البقرة	٢٠٧	٨٤-٨٥
وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله	آل عمران	١٦٥-١٧١	١١٣
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ	آل عمران	١٦٥-١٧١	١١٤
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله وَفَضْلٍ	آل عمران	١٦٥-١٧١	١١٥
وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ	آل عمران	١٧٠	١١٤
وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ	النساء	٨٦	٤٩
لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ	الأنعام	١٢٧	٤٦
...إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِّ وَمَا أَنزَلْنَا	الأنفال	٤١	٩٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ	التوبة	٣٨	٩٤
وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ	يونس	٢٥	٤٦
يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرّ	يوسف	٨٨	١١
وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ	الإسراء	٢٣-٢٤	٣٩
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ	الإسراء		٢٤
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ وَيَومَ	مريم	٣٣	٤٧-٤٨
وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَومَ وُلِدَ وِيَومَ يَمُوتُ	مريم	١٥	٤٧
وَإِسمَاعِيلَ وَإِدْرَيسَ وذَا الكِفْل	ألانبياء	٨٤-٨٥	٥٥
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ	ألانبياء	١٠٥	١١١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ	الحج	١١	٦٥
وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ	القصص	٥-٦	١١١
إِنَّ اللَّـهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى	الأحزاب	٥٦	٤٦
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً	الأحزاب	٢٢	٦٨
النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ	الأحزاب	٦	٧٤
لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن	فاطر	٣٠	١١٤
وَلَقَد نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُون	الصافات	٧٥-٨١	٤٧
سَلامٌ علَى نُوحٍ فِي العَالَمِين	الصافات	٧٩	٤٧
وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصالحين	الصافات	١١٢	٥٥
سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِين	الصافات	١٣٠	٤٧
فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ	القمر	٥٥	٥٣
لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ	المجادلة	٢٢	١١٧
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ	الحشر	٩	٨٣
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن	الحشر	٩	٨٣
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ	الحشر	٩	٥٠
فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِين	القلم	٥٠	٥٥
فالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً	النازعات	٥	١٣٨
أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ	التكاثر	١-٨	٣٣
أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ	التكاثر	١	٣٤

فهرس الأحاديث

الحديث	القائل	الصفحة
إذا أردت زيارة قبر العباس	الإمام الصادق عليه السلام	١٣
اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين	رسول الله صلى الله عليه وآله	١٩
أيها الناس إياكم وخضراء الدِمن	رسول الله صلى الله عليه وآله	٢٠
انظر في أي نصاب تضع ولدك	رسول الله صلى الله عليه وآله	٢١
حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق	الإمام علي عليه السلام	٢١
انظر لي امرأةً قد ولدتها الفحول	الإمام علي عليه السلام	٢١
يا له مرامًا ما أبعده ،وزَوْرًا ما أغفله	الإمام علي عليه السلام	٣٤
زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة	رسول الله صلى الله عليه وآله	٣٥
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	رسول الله صلى الله عليه وآله	٣٦
أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله	أبي جعفر عليه السلام	٣٦
هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم	الإمام علي عليه السلام	٣٧
يس محمد صلى الله عليه وآله ونحن آل يس	الإمام الصادق عليه السلام	٤٧
إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاث مواطن	الإمام الرضا عليه السلام	٤٨
والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى	رسول الله صلى الله عليه وآله	٥٠
إذا سلّم أحدكم فليجهر بسلامه	الإمام الصادق عليه السلام	٥٠
رحم الله عمي العباس فلقد آثر وأبلى	الإمام السجاد عليه السلام	٥٤

الحديث	القائل	الصفحة
وإن للعباس عند الله منزلةً يغبطه بها جميع	الإمام السجاد عليه السلام	٥٧
ألا وإنَّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء	الإمام علي عليه السلام	٦٢
لعَمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب	الإمام الحسين عليه السلام	٦٢
سلمان منا أهل البيت	رسول الله صلى الله عليه وآله	٦٤
يخرج في هذه الأمة – ولم يقل منها – قومٌ	رسول الله صلى الله عليه وآله	٦٨
فلو أن الباطل خلُص من مزاج الحق لم يخفَ	الإمام علي عليه السلام	٦٩
وأشهد أنك لم تهِن ولم تنكُل وأنك مضيت على	الإمام الصادق عليه السلام	٧١
كان عمنا العباس بن علي نافذَ البصيرة صلب	الإمام الصادق عليه السلام	٧١
إن ولدي العباس قد زُقّ العلم زقًّا	الإمام علي عليه السلام	٧٣
ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه	رسول الله صلى الله عليه وآله	٧٤
من غشّنا فليس منا	رسول الله صلى الله عليه وآله	٧٧
ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه؟	أبو عبد الله عليه السلام	٨١
أشهدُ لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنعم	الإمام الصادق عليه السلام	٨٢
سلامٌ على أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين	الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف	٨٢
أما بعد: فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة، فتحه	الإمام علي عليه السلام	٩٤
مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد	رسول الله صلى الله عليه وآله	٩٥
أما بعد: فإني لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيراً	الإمام الحسين عليه السلام	٩٦
هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا	الإمام الحسين عليه السلام	٩٦
إنكم تُقتلون غدًا كذلك، لا يفلت منكم رجل	الإمام الحسين عليه السلام	٩٦

الحديث	القائل	الصفحة
ارفعوا رؤوسكم وانظروا	الإمام الحسين عليه السلام	٩٧
هذا منزلك يا فلان وهذا قصرك يا فلان وهذه	الإمام الحسين عليه السلام	٩٧
لما كان صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل..	الإمام علي عليه السلام	١٠٠
اللهم أظمئه	الإمام الحسين عليه السلام	١٠٣
اللهم إني أشكو إليك ما يُفعل بابن بنت نبيك	الإمام الحسين عليه السلام	١٠٣
هيهات كذب من ادعى محبتنا ولم يبرأ من	الإمام الصادق عليه السلام	١١٨
وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة والبراءة	الإمام الصادق عليه السلام	١١٨
«أما الآن فأنت أعور إما أن تعمى وإما أن تبصر	الإمام علي عليه السلام	١١٩
إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعال	الإمام الرضا عليه السلام	١٢١

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، ط – دار الثقلين – لبنان / ١٤١٨هـ.

٢- كامل الزيارات: ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨ هـ).

٣- وسائل الشيعة: الشيخ محمد الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، ط – دار احياء الثراث العربي – لبنان / ١٤٠٣هـ.

٤- نهج الفصاحة: الشيخ غلام حسنين المجيدي (معاصر) موؤسسة جاويد – ايران.

٥- غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد ابن محمد الآملي (ت ٥٥٠ هـ)، مطبعة العرفان/ صيدا/ ١٣٤٩ هـ.

٦- بطل العلقمي: الشيخ عبد الواحد المظفر (ت ١٣٩٥ هـ)، ط – مطبعة دار النشر والتأليف – النجف الاشرف / ١٣٦٩ هـ.

٧- الطفل بين الوراثة والتربية: محمد تقي فلسفي (ت ١٤١٨ هـ)، النجف الاشرف / ١٣٨٧ هـ.

٨- ديوان أحمد شوقي (ت ١٣٥١هـ)، ط – دار الكتاب العربي/ بيروت .

٩- شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الما زندراني (ت ١٣٦٩هـ)، ط – المكتبة الحيدرية/ النجف الاشرف ١٣٨٥هـ.

١٠- صحيح مسلم: الشيخ مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٣٦١ هـ)، ط- دار المعرفة/ لبنان.

١١- وفاء الوفاء: علي عبد الله السمهودي (ت ٩١١هـ)، ط – دار الكتب العلمية/ بيروت ١٤١٩هـ.

١٢- نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، شرح محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، ط – دار المعرفة/ بيروت.

١٣- ثورة الإمام الحسين في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين (ت ١٤٢١هـ)، ط – الدار الاسلامية/ بيروت ١٤٠٠هـ.

١٤- مجمع البحرين: للطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، ط – دار ومكتبة الهلال/ بيروت ١٩٨٥م.

١٥- تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، ط – منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات/ بيروت ١٣٩٣هـ.

١٦- موسوعة أحاديث أهل البيت ، الشيخ هادي النجفي (معاصر)، ط – دار احياء التراث العربي/ لبنان ١٤٢٣هـ.

١٧- الخصال: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت ٣٨١ هـ)، ط – جامعة مدرسين/ قم ١٤٣٤هـ.

١٨- تفسير الأمثل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، ط – مؤسسة البعثة/ بيروت ١٤١٣هـ.

١٩- وأنا من حسين: حبيب ابراهيم الهديبي (معاصر)، ط – جواثا للنشر/ بيروت ١٤٣٢هـ.

٢٠- وقعة الطف، لأبي مخنف الكوفي: لوط بن يحيى الازدي، (ت ١٥٧هـ)، ط – المرعشي/ قم ١٣٩٨هـ.

٢١- معاجز أمير المؤمنين (معاجز الامام علي) السيد هاشم البحراني، (ت ١١٠٧هـ)، ط – مؤسسة النعمان/ بيروت ١٩٩١م.

٢٢- المغازي للواقدي: محمد بن عمر بن واقد، (ت ٢٠٧هـ)، ط –دار الاعلمي/ بيروت ١٤٠٩هـ.

٢٣- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت ٨١٦هـ)، ط – دار الكتب العلمية/ لبنان ١٤٠٣هـ.

٢٤- وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، ط – المؤسسة العلمية الحديثة/ ١٣٨٢هـ.

٢٥- أمير المؤمنين، الشيخ محمد جواد الشري.

٢٦- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: عبد الحميد بن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، ط – دار الكتب العربية/ مصر.

٢٧- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، ط – دار المعرفة/ بيروت.

٢٨- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: ابي حنيفة النعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣هـ).

٢٩- ثمرات الأعواد: علي بن الحسين الهاشمي الخطيب (ت ١٣٩٦هـ)، ط – منشورات الشريف الرضي/ ايران – قم.

٣٠- المراجعات: اليبد عبد الحسين شرف الدين العاملي (ت ١٣٧٧هـ)، ط – مطبعة الاداب/ النجف الاشرف

٣١- أسرار الشهادة :الاخند ملا آقا الدربندي (ت ١٢٨٥هـ)، ط – منشورات الاعلمي/ طهران.

٣٢- الخصائص العباسية: محمد ابراهيم الكلباسي، (ت ١٣٦٢هـ).

٣٣- موسوعة الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ)، ط – دار الكتاب العربي/ بيروت ١٤٨٧هـ.

٣٤- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام: ابي حنيفة النعمان بن محمد المغربي (ت ٣٦٣هـ)، ط - دار المعارف/ القاهرة ١٣٨٣هـ.

٣٥- من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، ط – مؤسسة الاعلمي/ بيروت ١٩٨٦م.

٣٦- إحياء علوم الدين: ابي حامد محمد بن محمد الغزال (ت ٥٠٥هـ)، ط – دار المنهاج/ جدة ١٤٣٢هـ.
٣٧- الملهوف: السيد علي بن موسى ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، ط – مؤسسة الاعلمي بيروت ١٩٩٣م.
٣٨- في رحاب عاشوراء: محمد مهدي الآصفي (ت١٤٣٦هـ)، ط – مؤسسة نشر الفقاهة.
٣٩- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، (ت ٣٢٩هـ).
٤٠- الركب الحسيني: علي الشاوي (معاصر)، ط – قم ١٤٢١هـ.
٤١- الصحيح من سيرة النبي الأعظم: جعفر مرتضى العاملي.
٤٢- (معاصر)، ط – دار الحديث للطباعة والنشر ١٤٢٦هـ.
٤٣- الأخبار الطوال: احمد بن داوود الدينوري، (ت ٢٨٢هـ)، ط – دار احياء الكتب العربية/ مصر.
٤٤- مقتل المقرّم السيد عبد الرزاق المقرم (ت ١٣٩١هـ)، ط – دار الكتب الاسلامية/ بيروت ١٣٩٩هـ.
٤٥- الارشاد: محمد بن محمد النعمان التلعكبري (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣هـ)، ط – مؤسسة اهل البيت لتحقيق التراث ١٤١٤هـ.
٤٦- تفسير مواهب الرحمن: السيد عبد الاعلى السبزواري (ت ١٤١٤هـ)، ط- مؤسسة التاريخ العربي / بيروت ١٤٢٤هـ.
٤٧- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي (ت ١١١٠هـ)، ط- مؤسسة اهل البيت عليهم السلام/ ١٤٠٩هـ.

فهرس المحتويات

الإهداء ٥

كلمة إدارة المكتبة ٧

المقدمة ٩

نص زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام ١٣

الفصل الأول
أبو الفضل العباس بين الوراثة والتربية

عامل الوراثة وعامل التربية ١٩

عامل الوراثة في حياة أبي الفضل العباس عليه السلام ٢١

عامل التربية في حياة أبي الفضل العباس عليه السلام ٢٤

أهمية دور المرأة ٢٦

الفصل الثاني
مشروعية الزيارة وفلسفتها

مشروعية الزيارة ٣٣

فلسفة الزيارة ومعطياتها ٣٨

الفصل الثالث
نص الزيارة ودلالاتها

النص ٤٥
السلام من الله والسلام من العباد ٤٥
السلام شعار الإسلام ٤٩
السلام على أبي الفضل العباس عليه السلام ٥٣

الفصل الرابع
البصيرة ودورها في علاقة أبي الفضل العباس بالمعصومين

النص ٦١
البصيرة ودورها في حياة الإنسان ٦٦
أبو الفضل العباس والبصيرة ٧١
الوفاء والنصيحة عند أبي الفضل ٧٧
المواساة والإيثار عند أبي الفضل ٨١
الإيثار ٨٣

الفصل الخامس
أبو الفضل العباس عليه السلام في طريق ذات الشوكة

النص ٩٣
الجهاد في الإسلام ٩٣
يوم بدر والبدريون ٩٨
يوم عاشوراء يوم الفرقان الثاني ١٠١

الفصل السادس
مبدأ الولاء والبراءة في نص الزيارة

النص ١٠٩
مبدأ الولاء والبراءة في نص الزيارة ١١٥
جاء في الزيارة الجامعة الكبرى ١١٦

الخاتمة
زيارة الوداع

النص ١٢٩

الفهارس الفنية ١٣٣
فهرس الايات القرآنية ١٣٥
فهرس الاحاديث ١٣٧
المصادر والمراجع ١٤١
فهرس المحتويات ١٤٥

منشوراتنا

تشرّفت مكتبتنا ـ مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة ـ

بنشر العناوين الآتية بعد العمل بها تحقيقاً أو مراجعةً أو إعداداً:

(١) العبّاس عليه السلام.

تـأليف: السـيّد عبـد الـرزاق الموسـويّ المقرّم (ت١٣٩١هـ).

تحقيق: الشيخ محمّد الحسون.

(٢) المجالس الحسـينيّة. (الطبعـة الأولـى والثانية)

تأليف: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

تحقيق: أحمدعليّ مجيد الحلّي.

راجعه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(٣) سند الخصام في ماانتخب مـن مسـند الإمام أحمد بن حنبل.

تأليف: الحجّة الشيخ شير محمّد بن صفر عليّ الهمدانيّ (ت١٣٩٠هـ).

تحقيق:أحمد عليّ مجيد الحلّي.

راجعه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(٤) معارج الأفهام إلى علم الكلام.

تأليف:الشيخ جمال الدين أحمد بنعليّ الجبعيّ الكفعميّ (ق٩).

تحقيق:عبدالحليم عوض الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٥) مكارم أخلاق النبيّ والأئمّة عليهم السلام

تأليف: الشيخ الإمام قطب الدين الراونديّ (ت ٥٧٣ هـ).

تحقيـق: السـيّد حسـين الموسـويّ البروجرديّ.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٦) منار الهدى فـي إثبـات الـنصّ علـى الأئمّة الاثني عشرالنُجبا.

تأليف: الشيخ عليّ بن عبد الله البحرانيّ (ت ١٣١٩ هـ).

تحقيق: عبدالحليم عوض الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٧) الأربعـون حـديثاً. (الطبعـة الأولـى والثانية)

اختيار: السيّد محمّد صادق السيّد محمّد رضا الخرسان (معاصر).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(٨) فهرس مخطوطات العتبة العباسيّة المقدسة.(الجزء الأول والثاني)

إعداد وفهرسة: السيّد حسن الموسويّ البروجرديّ.

(٩) الصولة العلوية على القصيدة البغدادية.

تأليف: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(١٠) ديوان السيّد سليمان بن داود الحلّي.

دراسة وتحقيق: د. مضر سليمان الحسينيّ الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١١) كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار عجل الله فرجه.

تأليف: العلاّمة الميرزا المحدِّث حسين النوري الطبرسيّ (ت ١٣٢٠ هـ).

تحقيق: أحمد عليّ مجيد الحلّي.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(١٢) نهج البلاغة (المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام).

جمع: الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ).

تحقيق: السيّد هاشم الميلانيّ.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٣) مجالي اللطف بأرض الطف.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماويّ (ت ١٣٧٠ هـ).

شرح: علاء عبد النبي الزبيديّ.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(١٤) رسالة في آداب المجاورة (مجاورة مشاهد الأئمة عليهم السلام).

من أمالي: العلّامة الشيخ حسين النوريّ (ت ١٣٢٠هـ).

حرّرها ونقلها إلى العربية: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

تحقيق: محمّد محمّد حسن الوكيل.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٥) شرح قصيدة الشاعر (محمّد المجذوب) على قبر معاوية.

الناظم: الشاعر الأستاذ محمّد المجذوب.

شرح: الشيخ حمزة السلاميّ (أبو العرب).

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التأليف والدراسات.

(١٦) دليل الأطاريح والرسائل الجامعية. (الجزء الأول والثاني)

إعداد: وحدة المكتبة الإلكترونية.

(١٧) الـدرر البهيـة فـي تـراجم علمـاء الإمامية.

تـأليف: السـيّد محمّـد صـادق آل بحـر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(١٨) جواب مسألة في شأن آية التبليغ.

تـأليف: الشـيخ أسـد الله الخالصـي الكاظميّ (١٣٢٨هـ).

تحقيق: ميثم السيّد مهدي الخطيب.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٩) ما نزل من القرآن في عليّ ابـن أبـي طالب عليه السلام.

تأليف: أبي الفضائل أحمد بن محمّد بن المظفّـر بـن المختـار الحنفـيّ الـرازيّ (ت٦٣١هـ).

تقديم: السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الموسويّ الخرسان.

تحقيق وتعليق: السيّد حسنين الموسـويّ المقرّم.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٢٠) درر المطالـب وغُـرر المناقـب فـي فضائل عليّ ابن أبي طالب عليه السلام.

تأليف: السيّد ولي بـن نعمـة الله الحسـينيّ الرضويّ.

تحقيق: الشيخ محمّد حسين النوريّ.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٢١) تصنيف مكتبة الكونغرس.

المجلـد الأول: تـاريخ آسـيا، أفريقيـا، استراليا، نيوزلندا.

المجلد الثاني: الفلسفة العامـة، المنطـق، الفلسـفة التأمليـة، علـم الـنفس، علـم الجمال، علم الأخلاق.

المجلد الثالث: العلوم الملحقة بالتاريخ.

ترجمة: وحدة الترجمة.

(٢٢) العباس عليه السلام سماته وسيرته.

تـأليف: العلّامـة السـيّد محمّـد رضـا الجلاليّ الحائريّ (معاصر).

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٣) من روائع ما قيل في نهج البلاغة.

إعداد: عليّ لفتة كريم العيساويّ.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٤) دليل الكتب الإنكليزية. (الجزء الأول والثاني)

إعداد: وحدة المكتبة الإلكترونية.

(٢٥) موجز أعلام الناس ممّن ثـوى عنـد أبي الفضل العباس عليه السلام.

تأليف: السيّد نور الدين الموسويّ.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٦) تراجم مشاهير علماء الهند.

تـأليف: السـيّد علـيّ نقـي النقـويّ (ت١٤٠٨هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٢٧) كنز المطالب وبحر المناقب في فضائل عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

تأليف: السيّد ولي بن نعمة الله الحسينيّ الرضويّ (كان حيّاً سنة ٩٨١هـ).

تحقيق: السيّد حسين الموسويّ.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٢٨) فن التأليف

تأليف: السيّد محمّد رضا الجلاليّ.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٩) وشائح السرّاء في شأن سامراء.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماويّ (ت ١٣٧٠هـ).

شرحه وضبطه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٣٠) ذكر الأسباب الصادة عن إدراك الصواب. (سلسلة تراثيات/١)

تأليف: أبي الفتح الكراجكيّ (ت٤٤٩هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٣١) فهرس مخطوطات مكتبة الإمام الخوئيقدس سره. **(الجزء الأوّل)**

إعداد وفهرسة: أحمد عليّ مجيد الحلّي.

إصدار: مركز تصوير المخطوطات وفهرستها.

(٣٢) كربلاء في مجلّة لغة العرب. (سلسلة اخترنا لكم/١).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٣٣) رسالة الحقوق للإمام السجّادعليه السلام**والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.**

تأليف: الدكتور عليّ فاخر الجزائريّ.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٤) معجم ما أُلّف عن أبي الفضل العباسعليه السلام**. (باللغة العربية)**

إعداد: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٥) أبو الفضل العباسعليه السلام **في الشعر العربي.**

(الجزء الأول).

(الجزء الثاني).

(الجزء الثالث).

جمعه ورتّبه: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٦) لقمان الحكيم ووصاياه.

تأليف: السيّد الشهيد محمّد رضا آل بحر العلوم (استشهد بعد ١٩٩١م).

مراجعة: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٧) صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجوادعليهما السلام.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماويّ (ت ١٣٧٠هـ).

شرحه وضبطه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٣٨) المختصر في أخبار مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر.

تأليف: السيّد صفي الدين ابن الطقطقيّ (ت حدود ٧٢٠هـ).

تحقيق: السيّد علاء الموسويّ.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٣٩- ٥٩) موسوعة العلّامة الأُوردباديّ قدس سره.

تأليف: الشيخ محمّد عليّ الأُوردباديّ (ت ١٣٨٠هـ).

جمع وتحقيق: سبط المؤلّف السيّدمهدي آل المجدّد الشيرازيّ.

بنظر ومتابعة: مركز إحياء التراث.

(٦٠) بغداد في مجلّة لغة العرب القسم الأول.القسم الثاني. القسم الثالث.القسم الرابع.

(سلسلة اخترنا لكم/٢)

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٦١)ما وصل إلينا من كتاب مدينة العلم (في ضمن سلسلة التراث المفقود).

تأليف: الشيخ أبي جعفر محمّد ابن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ).

جمع وتقديم وتحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٢) مُسند أبي هاشم الجعفريّ.

تأليف: أبو هاشم الجعفريّ (ت ٢٦١هـ).

جمعه وحقّقه وعلّق عليه: الشيخ رسول الدجيليّ(الجيلاويّ).

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٦٣)تعليقة الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله على أدب الكاتب.

تحقيق: الدكتور منذر الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٤) أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات.

للسيّد العلّامة عليّ نقي النقويّ (ت١٤٠٨هـ).

أعدّه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث .

(٦٥) لآلئ النيسان (ديوان العلّامة الحجة السيّد محمّد عليّ خير الدين الموسويّ

الحائريّ (ت١٣٩٤هـ).

ضبطه: عدّة من الأدباء.

مراجعة: وحدة التأليف والدراسات.

(٦٦) النجف في مجلّة لغة العرب.

(سلسلة اخترنا لكم/٣).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٦٧) تعليقة على خاتمة المستدرك.

للسيّد حسن الصدر(ت١٣٥٤هـ).

جمع وتحقيق: الشيخ ضياء علاء هادي الكربلائيّ.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٨) نور الأبرار المبين من حِكم أخ الرسول أمير المؤمنينعليه السلام.

لمحمّد بن غياث الدين الشيرازيّالطبيب (ق ١١ هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث .

(٦٩) البصرة في مجلّة لغة العرب.

(سلسلة اخترنا لكم/٤).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٧٠) بحوث الملتقى العلمي الثاني للفهرسة والتصنيف.

إعداد: مركز الفهرسة ونظم المعلومات.

(٧١) الحلّة في مجلّة لغة العرب.

(سلسلة اخترنا لكم/٥).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٧٢) وفيات الأعلام.

(المجلد الأول)(المجلد الثاني)

للعلاّمة السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت١٣٩٩هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٣) تعليقة على ذخيرة المعاد.

للعلاّمة المجدّد المولى محمّد باقر الوحيد البهبهانيّ (ت ١٢٠٥هـ).

حرّرها: الشيخ جواد بن زين العابدين الدامغانيّ.

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٤) ابتداء دولة المغول وخروج جنكيزخان.

تأليف:العلاّمةأبي الثناء قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازيّ الشافعيّ (ت ٧١٠ هـ).

ترجمة وتحقيق: الأستاذ يوسف الهادي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٧٥) الفوائد والمباحث اللغويةفي مجلّة لغة العرب (القسم الأول).

(سلسلة اخترنا لكم/٦).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٧٦) قطعة من كتاب الفتوح.

تأليف: ابن أعثم الكوفيّ (ت بعد سنة ٣٢٠ هـ).

تحقيق: الشيخ قيس العطّار.

اخرجهُ ووضع فهارسهُ: مركز إحياء التراث.

(٧٧) المخطوطات العربية في مكتبة طوب قابي سرايي (استنبول).

إعداد: مركز تصوير المخطوطات وفهرستها.

(٧٨) أصل البراءة.

تأليف: آية الله الشيخ محمّد حسين النجفي الأصفهاني (ت١٣٠٨هـ).

تحقيق:الشيخ الدكتور محمود النعمتي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٧٩) أبو الفضل العباس عليه السلام بين الولاية والشهادة.

(الكتاب الذي بين يديك)

تأليف: الشيخ حبيب إبراهيم الهديبي.

مراجعة: مركز الدراسات التخصّصية في أبي الفضل العباس عليه السلام.

قيد الإنجاز

(٨٠) النبراس الأنور في العباس الأكبر .

تأليف : الشيخ مجيد هادي زاده .

مراجعة و ضبط : مركز الدراسات التخصّصية في أبي الفضل العباس **عليه السلام.**

(٨١) الإمام المُجتبى الحسن بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

للسيّد عبد الرزاق الموسويّ المقرّم (ت١٣٩١هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٨٢) إجازات الرواية والاجتهاد للعلّامة النقوي.

للسيّد عليّ نقي النقويّ (ت١٤٠٨هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٨٣) هدية الرازي إلى المجدّد الشيرازيّ.

للعلّامة الشيخ آقا بزرك الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٨٤) عنوان الشرف في وشي النجف (أُرجوزة في تاريخ مدينة النجف الأشرف).

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماويّ (ت ١٣٧٠هـ).

شرحها وضبطها ووضع فهارسها:مركز إحياء التراث.

(٨٥) تعليقة على الكفاية.

تأليف: السيّد محمّد العصّار اللواسانيّ (ت ١٣٥٦هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحليّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٦) يوميات السّيد محمّد صادق آل بحر العلوم عليه السلام.

تأليف: السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ.

مركز إحياء التراث.

(٨٧) محمّد طاهر الفضليّ السماويّ: حياته و آثاره ١٨٧٦ - ١٩٥٠م، دراسة تاريخية. (سلسلة رجالات الشيعة).

تأليف: الأستاذ ياسر عبد عكال الزيادي السماويّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

This book is an analytical text study of ziyarah (sepulcher visitation) to Abi Al-Fadhl Al-Abbas peace be upon him through brief instances over the various meanings of this noble ziyarah, as an attempt to elicit its concepts and to clarify some of its meanings.

The author does not follow up in detail the sections and chapters of the ziyarah and its contents, but he rests to brief stances over some axes.

The book contains six chapters as follows: the first chapter is Abu Al-Fadhl Al-Abbas between inheritance and education, the second chapter is legality of ziyarah and its philosophy, the third chapter is ziyarah text and its indications, the forth chapter is perception and its role in the relation among Al-Abbas and the twelfth impeccable Imams, the fifth chapter is Abu Al-Fadhl Al-Abbas in path of Thaat Al-Shawkah, the sixth chapter is a collection of poetical verses and a conclusion includes the farewell ziyarah.

Abu Al-Fadhl Al-Abbas between fidelity and Martyrdom

Reading in the ziyarah text of Abi Al-Fadhl Al-Abbas peace be upon him

By

Sheikh Habib Ibrahim Al-Hudaybi

Revised, verified and indexed by

The authorship and Study Unit in Al-Abbas Holy Shrine Library